النيّل عبد القادر أبو قرون

"بنو إسرائيل"
في أرض كوش

الكتاب: بنو إسرائيل في أرض كوش

المؤلف: النيّل عبد القادر أبو قرون – السودان

الطبعة الأولى: 2020

الناشر: "مشترك" مؤسسة أونيكس للتواصل الفكري – بريطانيا، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ضمن عقد.

The Onyx Link Foundation
107 a stow Hill - Newport
– UK
NP20 4ED

جميع الحقوق محفوظة .لا يسمح بإصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن مسبق من الناشر.

All rights reserved· No part of this book may be reproduced stored in a retrieval system or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher·

ISBN:

النيّل عبد القادر أبو قرون

"بنو إسرائيل"
في أرض كوش

مفتتح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ذي الجلال، الكبير المتعال، الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وقال فيه مخاطباً أعظم رسله وأجملهم، وأوّل أنبيائه وخاتمهم، وأعلم خلقه وأكملهم، ورحمته المهداة لعباده فبه يرحمهم **﴿...إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ...﴾**[1] **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾**[2]، لأنّه الرحمة التي كتبها الله على نفسه **﴿...كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ...﴾**[3]، ورحمته سبقت غضبه وهي التي وسعت كلّ شيء، قال تعالى: **﴿...وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ...﴾**[4] فوسعت الكبائر من الذنوب ليشفع لأهلها من فضَّلهُ على العالمين **"شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"**[5] فاستحق مدح الله له **﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**[6]. فله تعالى الحمد على جزيل نعمائه ووافر عطائه كما ينبغي لعظمته وجلال بهائه، والشكر لخاتم رسله وأنبيائه.

---

[1] سورة الدخان : 5-6
[2] سورة الأنبياء : 107
[3] سورة الأنعام : 54
[4] سورة الأعراف : 156
[5] الترمذي
[6] سورة القلم : 4

اللهم يا من لا يقيّده اسمه لإطلاقه، ولا يقيّده الإطلاق لقدرته، اللهم يا محيط ولا يحاط به عِلماً، اللهم يا من هو كيف شاء، وكلّ يوم هو في شأن. اللهم يا من الاسم في حقّه قيد، والإطلاق في حقّه قيد، وهو منزّه عن القيد وحصر الفِكر. لك الحمد يا عليّ يا عظيم كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، والشكر لرسولك النبيّ الكريم مدينة العِلم الذي أنزلت عليه الكتاب الذي ما فرّط في شيء. فهو حقّ وخلق. حق لتلقيه الحق **﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ...﴾**[7] **﴿...وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾**[8] **﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...﴾**[9] وهو خلقٌ لتبليغ الرسالة للخلق **﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ...﴾**[10] فما عرف أكثر الناس قدره حتى قال **"ما أوذي أحد مثلما أوذيت"**[11]. فهو البرزخ الأعظم لكونه حقّ وخلق فما يعلم قدره إلا الله. وهو رفيع الدرجات، والقاسم لعطاء الله كما جاء عنه **"الله المعطي وأنا القاسم"**[12].

وصلّ اللهم وبارك على عين ذاتك، وتنزّل تجلياتك، ونور مشكاتك، الأقدس المقدّس أصل الحقّ، وفاتق الرتق،

---

[7] سورة الإسراء : 105
[8] سورة آل عمران : 86
[9] سورة الفتح : 10
[10] سورة الكهف : 110
[11] فتح الباري شرح صحيح البخاري
[12] البخاري

وجامع الفرق، وممدّ الخلق، صلاة تعيى القلوب عن إدراك عظمتها وعلى والديه وآله، صلاة تنير بها قلوبنا من فيض مشكاته، وتفتح بها بصائرنا لإدراك عظيم نفحاته.

مقدمة

إنّ الذي دفعني لانجاز هذا الكتاب هو قراءاتي لما ورد في الموروث عن قصص الأنبياء وأممهم، إذ إنّه التاريخ الأكثر تأثيراً على حياة البشرية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها - فنسبة من يتبعون الرسالات السماوية الثلاثة المسيحية والإسلام واليهودية 55.5% من سكان العالم[13] - وقد نشرتُ فصلاً من هذه القراءات في كتابي "نبيّ من بلاد السودان". أمّا منهجي في هذه المراجعات التاريخية وغيرها فهو اعتمادي على التأمل الدقيق والتدبّر العميق في القرآن الكريم لأنّه يخاطب الناس كافّة، من آمن به ومن رفضه. وهو المصدر الأساسي لهذه المعلومات عن أولئك الرسل قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**[14]. لذا تعاملت معه من منظورين أولهما إيماني الخاص بذلك، ويشمل كتاباتي في المعارف القرآنية، وثانيهما إنساني، ويشمل قراءاتي في القصص القرآنية والسلوك الإنساني.

---

[13] http://www.pewresearch.org/fact-tank/2017/04/05/christians-remain-worlds-largest-religious-group-but-they-are-declining-in-europe/

[14] سورة سبأ : 28

أمّا مدخلي للقرآن الكريم فهو التفكّر والتدبّر المقيّد بالقاعدة التي بَنَيتُ عليها في كلّ مؤلفاتي السابقة، وهي أنّ النص القرآني إلهي مقدّس لكن الفهم لهذا النص بشري وغير مقدّس يحتمل الصواب والخطأ. فقد وصف الله سبحانه القرآن وعلاقته بالإنسان في بدايات سورة البقرة بقوله: **﴿الم * ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[15]. فوصَف القرآن بالكتاب الذي لا ريب فيه، وهذا يشمل ما فيه من المعرفة، أي أنّها حقائق لا شكّ فيها، وكلّها حقّ لا يأتيه الباطل من حيث مصدره وبذلك فهو فوق أساليب نقد المصدر في المعارف الإنسانية إلا نقد ما فهمه الناس من هذا المصدر. كذلك وصَفه تعالى بأنّه هدى للمتقين بما تؤول إليه معارفه من منافع للإنسان في دنياه وآخرته إن كان من المؤمنين المتّقين لله برسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله الذي هو المرجعية العليا في الدين، والمعلّم المبيّن للناس ما نُزّل إليهم في الكتب المقدسة، فيكون الإنسان بتقواه على هدى من الله في كلّ مناحي الحياة، فإيمانه بالغيب يخرجه من مادية بعده الثلاثي الأرضي إلى آفاق المعرفة اللامتناهية، فيتبين طريقه رغم ظلام الفتن

[15] سورة البقرة : 1-5

المطبق، وأكبرها فتنة الدجّال الذي يبني مملكته على الكذب والإرهاب الفكري والعلمي، وينتظر كلّ أهل الأديان الخلاص منه بعودة المسيح عليه السلام المشار إليه في الآية ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ...** ﴾[16] فيقيّم الإنسان صلته الدائمة بربّه الرزّاق الغني جلّ شأنه، فيكون يقينه بما عند الله أقوى ممّا في يده، فيتعافى ويأمن من همّ الرزق، فينفق ممّا رزقه الله ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر. ويطمئن قلبه بما أُنزِل على النبيّ محمّد صلّى الله وبارك عليه ووالديه وآله، ويؤمن بما أنزل الله سبحانه على الأنبياء من قبله، ﴿**وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا...**﴾[17] فيكون بذلك متصالحاً مع كلّ الناس، لأنّه أخ لهم إمّا بالإسلام دين الله الواحد الذي جاء به كلّ الرسل ﴿**...لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...**﴾[18]، وإما بالخَلق من النفس الإنسانية الواحدة ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا...**﴾[19]، فيسعد بحسن الخُلق مع خَلق الله في هذه الدار، وبه يفوز بالجنّة في دار القرار. قال علي عليه السلام "الناس صنفان أخ لك في الدين أو صنوك في الخلق"[20]. وعليه يمكن القول إنّ دلائل هذه الآيات الإستفتاحية قد شملت كلّ

---

[16] سورة الزخرف : 61
[17] سورة الأحقاف : 12
[18] سورة البقرة : 285
[19] سورة الأعراف : 189
[20] نهج البلاغة

ما يرجوه الإنسان من العلم الذي يسعده في الدنيا والآخرة، وهذا العلم فيه تحصيل لكلّ مقاصد الفلسفة والعلوم الإنسانية والتجريبية، ولا يضير من لا يؤمن بهذا الطرح الأخذُ به.

القرآن كتاب جامع قال فيه سبحانه ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾[21]. فقد حوى الكثير من قصص الأولين بالتفصيل أحياناً وبالإشارة أحياناً. وعليه أقول إنّ النص القرآني، كمصدر للمعلومة التاريخية، فوق مباحث نقد المصدر لأنّه سابق لها، فلا يمكن إخضاع نصّه للمصطلحات المتّبعة عند الباحثين في الدراسات التاريخية المعاصرة إلا إذا استنبطت منه المعلومة بمنهج دقيق كما في التوضيح الذي أوردته. فقد جاء فيه: ﴿**نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ...**﴾[22] والقصة القرآنية تمتاز بالواقعية أي بحدوثها في الواقع في زمان ومكان معينين، وبها شخصيات حقيقية لها أدوار في أحداثها. ووصفُها بالحسن لا تكتمل صورته إلا بمعرفة زمانها ومكانها وتسلسل أحداثها والعبر القيمة المستفادة منها. ولتحصيل هذه المعرفة وضعت هذا المنهج المتكامل الذي إستقيته من كتاب الله عز وجل المنزل على خاتم الأنبياء سيدنا محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. ويتضمن ترتيل القرآن، ولا أقصد بذلك تلاوته الصوتية

---

[21] سورة الأنعام : 38

[22] سورة يوسف : 3

بالتزام قواعد التجويد كما يرى بعضهم، بل جمع المعلومات الخاصّة بموضوع البحث في رتل واحد، أي نسَقٍ محدّد من آيات في سور مختلفة تتناول الموضوع نفسه، ويتشكّل من خلالها بناء المعرفة. ومن سمات هذا الأسلوب الإفاضات الجانبية في تبيان موضوع الترتيل التي قد تبدو خارج سياق الكتاب، لكنّها نتاج منهجيته في البناء الترتيلي. فمنها ما يرد في جمل أو فقرات ضمن الرتل المعرفي، ومنها ما يرد في رؤوس مواضيع ذات صلة بيانية به. وهذه الإفاضات قد تأتي من قبيل التماثل، أو التناقض، أو الإسقاط، أو التناظر، أو الإسهاب، ويتم نسجها توضيحاً لتكاملية المنهجية للتأكيد على المعلومة وإثبات صحتها من زوايا مختلفة دون الحيد عن مسار الترتيل، وقد بينته في هذه المقدمة.

وكذلك يمكن النظر في كتب الأوّلين لما فيها من أخبار جاء بها القرآن أيضاً، كما ذكر الله عز وجل: **﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ * أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**[23]، وقوله في نبيّ الله موسى عليه السلام: **﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾**[24]. ولا بدّ من مراعاة قاعدة المدخل أعلاه، فقراءة المترجَم من تلك الكتب تؤخذ بحذر شديد، لأنّ ترجمة النص المقدس هي محدودة في فهم من قام بترجمته. ومنها كذلك

[23] سورة الشعراء : 197-196

[24] سورة الأعراف : 145

النظر في ما توصل إليه علم الآثار في كلّ قصة ومبحث، كما أمر الله سبحانه في قوله الكريم: ﴿**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ...**﴾[25]، مع توخّي الحذر أيضاً لتجنّب القصور المحتمل في أساليب البحث في مصادر التاريخ للوصول إلى الحقيقة، أو التلاعب فيها حسب نوايا بعض الباحثين وأهوائهم ممّا يتطلّب إعادة النظر في تحليل الأثر التاريخي وإستنباط المعلومة منه. وهناك خطر أعظم على الحقيقة يكمن في التأثير السلبي على المعرفة والثقافة وتدوين التاريخ قديماً وحديثاً من قبل الأنظمة العقدية والفكرية والسياسية التي تسعى للتسلّط على الموارد البشرية والإقتصادية، ممّا يستوجب على الباحث في التراث الإنساني إتباع منهج حاذق لنقد المصدر، لتنقيته من الشوائب قبل أخذه في الإعتبار والبناء عليه. ومثل هذا المنهج قد يكون الأقرب لتوثيق حقائق المعارف الإنسانية مقارنة بمناهج الفلسفة في العلوم الإنسانية والتجريبية.

مما تقدم يمكن الإشارة إلى مصادر التاريخ التي اعتمدتها في هذا الكتاب بجانب القرآن الكريم، وأولها التوراة والإنجيل أي الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد)، وأيضاً تاريخ الفراعنة في حوض النيل القديم ومدى تداخله مع حضارة إكسيوم في إثيوبيا، لهذا فإنّ منهجي في البحث عن المعرفة من خلال ما ورد في الكتاب

[25] سورة الروم : 42

المقدس بشقّيه العهد القديم والجديد مبنيّ على أنّ مصداقيته وصلاحيته - في أصله السماوي - لا تحدّ بزمن ولا مكان، فهو مقدس لأنّه منزل من عند الله سبحانه وملزم لأهل الكتاب إلى يوم القيامة. فقد جاء في وعظ الربّ لبني إسرائيل عليه السلام: **"وأنذر الرب بني اسرائيل ويهوذا على يد جميع الأنبياء وكلّ الشهداء قائلاً ارجعوا عن طرقكم الرديّة واحفظوا وصاياي وما قضيت به حسب كلّ الشريعة التي أوصيت بها آباءكم والتي أرسلتها إليكم بواسطة عبادي الأنبياء"**[26]. وجاء في الترنيمة الأخيرة للنبي داوود عليه السلام: **"إنّ روح الربّ تكلّم بي، فكانت كلمته على لساني"**[27]. وجاء في العهد الجديد: **"كلّ الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والوعظ، وللتقويم والتأديب بحسن الخلق، لكي يكون العابد لله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح"**[28]. وجاء الأمر إلى أهل الكتاب في القرآن الكريم: **﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّىَ تُقِيمُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ...﴾**[29]، ولم يطالبهم الله عزّ وجلّ بترك كتابهم بل أمرهم بالقضاء بما شرع فيه **﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ...﴾**[30]

---

[26] سفر الملوك 2 الإصحاح 17 آية 13

[27] سفر صموئيل الثاني 23: 2

[28] رسالة بولس الرسول الثانية إلى تيموثاوس، إصحاح 3، 16-17

[29] سورة المائدة : 68

[30] سورة المائدة : 43

﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فِيه...﴾[31]. وكذلك أمر جلّ جلاله أتباع الرسالة الخاتمة -الذين آمنوا- بالإيمان بالكتاب المقدس، وأنّه منزل من الله عز وجلّ، والإقرار بمصداقيته وصلاحيته في أصله، وما أوتي موسى وعيسى والنبيون وما أُنزِل إليهم دون تفريق بينهم حتى لا يكون هناك تنازع في الدين مع أهل الكتاب، فالدين من عند الله واحد وهو الإسلام الذي جاءت به كلّ الرسل، ورسالته واحدة هي حُسن الخُلق: قال صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة أحد إلا بحُسن الخُلق"**[32] وسئل عن أقرب الناس إلى الله فقال **"أحسنهم أخلاقاً"**[33] وقال **"إنما بُعِثت لأتمّم صالح الأخلاق"**[34] إشارة إلى أنّ بعثات الرسل السابقين إنّما كانت الأخلاق وجاء خاتم المرسلين ليتمّمها. **﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾**[35]. وبما أنّ الكتب السماوية في أصلها -وأكرر في أصلها- تتفق في المصدر والمصداقية والصلاحية ووحدة الرسالة، فلا بد أن تكون

---

[31] سورة المائدة : 47
[32] دلائل النبوة للبيهقي
[33] الحاكم
[34] البخاري
[35] سورة البقرة : 136

متكاملة في معارفها ومؤيدة لبعضها ومبيّنة، قال تعالى: **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[36] .

وقد بيّنتُ وحدة رسالة الأنبياء ومقصد بعثتهم في كتابي **"في رحاب الرسالة"**[37]. فالشعائر التعبدية وبعض الشرائع قد تختلف في تفاصيلها بين الأنبياء والرسل عليهم السلام حسب مكان الرسالة وزمنها، لكن يبقى منهج الأخلاق والحقائق التاريخية من الثوابت التي يمكن ضبطها بمقارنة النصوص عبر الكتب السماوية التي تقدِّس الأنبياء ولا تطعن في أخلاقهم، وهذا هو أسلوبي في الرجوع إلى الكتاب المقدّس كمصدر للمعلومة في موضوع هذا الكتاب.

كما يرتكز منهجي في تدبّر القرآن وفهمه على معرفة السياق الذي ورد فيه كلام الله سبحانه، وهو "مواضع الكلم" كما في الآية: **﴿...يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾**[38]. ومنه سياق المعنى، والسياق التاريخي أي الإنسان والزمان والمكان المرتبط بالنص المقدس. ومعرفة السياق مطلوبة لتبيين النص فبها يتنزّل النص في مواضعه فلا يحتاج إلى

---

[36] سورة النحل : 43-44

[37] مراجعات في الفِكر الإسلامي ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2014 : 15-76

[38] سورة النساء : 46

تفسير أو تأويل. والقصة القرآنية، كما ذكرنا، تمتاز بالواقعية لما بها من شخصيات حقيقية لها أدوار في أحداثها لكن لا تكتمل إلا بمعرفة زمانها ومكانها وتسلسل أحداثها. ويمثل هذا المبحث تحقيق مواضع الكلم لترسيم مسرح الأحداث بمحدّدات أو نقاط مرجعية في نصّ القرآن أو الكتاب المقدس، وقد تكون النقطة المرجعية إشارة لفترة زمنية كفترة تيه بني إسرائيل بعد الخروج التي اتفق القرآن والكتاب المقدس على أنّها أربعون سنة، أو قد تكون إسماً لمكان مثل جبل تكليم الله عزّ وجلّ لموسى عليه السلام المعروف في الكتاب المقدس والقرآن بطور سيناء. ومن هنا تأتي أهمية النظر في التاريخ القديم لكلّ حوض النيل لإسقاط مثل هذه الإشارات في سياقها التاريخي والجغرافي.

ولخطورة وحساسية الربط بالنص الديني كان لا بد من التعرّف أولاً على مصداقية المعلومة وثباتها قبل إسقاط إشارات الوحي عليها. فبدأت بالنظر في المصادر التاريخية وما كُتِب استناداً عليها من تاريخ حوض النيل، وخاصّة تاريخ الفراعنة والدراسات التاريخية التي تناولت الكتاب المقدس. وذكر الدكتور سيد توفيق أنّ مصادر دراسة التاريخ القديم لحوض النيل تشمل: الآثار، ومدوّنات الحضارات المعاصرة للحقب التاريخية، وكتابات الرحّالة اليونان والرومان، والكتابين السماويين **"التوراة والقرآن**

الكريم". ويخلص علماء التاريخ إلى أنّ الآثار هي أصدق المصادر لكتابته وأدقها[39].

أما أقدم تدوين لتاريخ الفراعنة بناءً على هذه المصادر، فيعرف بتاريخ مانيتون المؤرخ المصري في عهد الملك بطليموس الثاني "فيلادلفوس 283-245 ق.م" معتمداً في كتاباته على الوثائق التي خلفتها حضارة الفراعنة والتي كانت تضمّها دور حفظ الوثائق بالمعابد[40] بالإضافة إلى كلّ ما وجده في متناول يديه من وثائق الإدارات الحكومية وغيرها؛ ولسوء الحظ فقدت النسخة الأصلية من تاريخ مانيتون أثناء حريق مكتبة الإسكندرية عام 44 ق.م.، ولم يصلنا من هذا التاريخ إلا مقتطفات نقلها بعض المؤرخين. ورغم ذلك نجد أنّ جميع علماء تاريخ الفراعنة فى العالم ما يزالون يعتمدون حتى الآن على التقسيم التاريخى لمانيتون مثل المؤرخ اليهودي "يوسيفوس" وكذلك المؤرخ "جوليوس الإفريقي" الذي نقل في مؤلفه بعض أسماء الملوك التي كانت مدونة في تاريخ مانيتون الأصلي.

ورغم أهمية هذه الآثار وغزارة التاريخ المستنبط منها، إلا أنّ العلماء ينوّهون أنّه لا يمكن للباحث المدقق أن

---

[39] د. سيد توفيق : معالم تاريخ وحضارة مصر منذ أقدم العصور حتى الفتح العربي، القاهرة، 1977

[40] د. سيد توفيق، معالم تاريخ وحضارة مصر منذ أقدم العصور حتى الفتح العربي، القاهرة، 1977

يأخذ بكلّ ما سجل عليها كحقيقة مسلّم بها، لأنّ الفراعنة لم يكتبوا بقصد تسجيل الأحداث التاريخية بمفهومنا الحالي فجاء بعض ما سجلوه غير معِّبر عن الحقيقة. وليس أمام الباحث من طريق سوى عقد مقارنة موضوعية ليتوصّل إلى الحقيقة أو ما يقترب منها.

ومن الأمثلة التي أسوقها هنا أنّه لا توجد في هذه المصادر ولا في التاريخ المستنبط منها إشارة واحدة إلى تاريخ أنبياء بني إسرائيل! فلا ذكر لإسم نبيّ الله موسى عليه السلام ولا الفرعون الذي كان جزءً فاعلاً في سيرته ولا ذكر لأكبر الأحداث في تاريخ بني إسرائيل من دخولهم لمصر في زمن نبي الله يعقوب وإبنه يوسف عليهما السلام، وتحدّي موسى عليه السلام للفرعون، وسني الإبتلاءات التسعة لآل فرعون وأهل مملكته إلى خروج موسى عليه السلام ببني إسرائيل منها وغرق آل فرعون وجنده!!

يعدّ كتاب "تاريخ اليهود" The Antiquities of The Jews للمؤرخ اليهودي فلافيوس يوسيفوس في عام 93 من القرن الميلادي الأول أقدم تدوين لتاريخ "الكتاب المقدس"، ومن الغريب كذلك أنّا لا نجد في الدراسات المحايدة لتاريخ بني إسرائيل توثيقاً علمياً منطقياً لتاريخ يوسيفوس أو غيره يربط أحداث "الكتاب المقدس" بمسرح جغرافي ومضمون تاريخي متّسق معها.

ولذا تجدني في هذا الكتاب أجتهد في تحقيق سياق المعنى الوارد في المصادر الدينية من قصص الأنبياء وأقوامهم، وأكتفي بربطها بالجغرافيا الحالية والشخصيات التاريخية الأقرب لمعاصرتها، وأبتعد ما أمكن عن ما وضع من تأريخ زمني للحقب والأحداث لما فيه من تضارب وفقدان للدقة. وبما أنّ القرآن هو المصدر الأساس الذي بنيت عليه ما أنا بصدده رأيت تبيين منزلة من أُنزِل إليه هذا القرآن، وأهمية المرجعية التي يستند إليها مما جاء في الكتب المقدسة السابقة، وكذلك إبراز كيفية الأخذ من هذا القرآن الذي لم يفرط في شيء بالتدبر والترتيل الذي بغيره قد لا تتّضح الأحداث والقصص التي يشير إليها وهي أحسن القصص.

بنو إسرائيل - الذين هادوا – اليهود

لا بدّ من تبيين المصطلحات القرآنية الخاصة ببني إسرائيل، فقد وردت المسمّيات أعلاه مرّات عديدة في القرآن في وصف أحوال أناس من أقوام "إسرائيل" (يعقوب عليه السلام) وموسى عليه السلام. فقد تمّ ذكر بني إسرائيل والذين هادوا بالمدح تارة وبالذمّ تارة أخرى مثل قوله تعالى: **﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**[41]؛ **﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾**[42]. **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّابِؤُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وعَمِلَ صَالِحًا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[43]؛ **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾**[44].

وقد يكون لفظ "بني إسرائيل والذين هادوا" في مقابل لفظ "الذين أمنوا" في الرسالة الخاتمة. فالله سبحانه لم يخاطب من بُعِث فيهم محمد صلى الله وبارك عليه وعلى

---

[41] سورة البقرة : 122
[42] سورة الإسراء : 4
[43] سورة المائدة : 69
[44] سورة الحج : 17

والديه وآله بالمسلمين ولا بالذين أسلموا بل بالذين آمنوا وهي لا تعني المؤمنين بل مطلوب منهم الإيمان بالله ورسوله ولا تكفيهم عدم المعارضة. قال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...**﴾[45] وقال تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ...**﴾[46] والإيمان بالرسول هو المطلوب من الذين آمنوا بعد إسلامهم للرسول بالتبعية والانقياد وعدم المعارضة. فالذين آمنوا هم قوم محمّد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله غير المشركين والكفار، والذين هادوا هم قوم موسى عليه السلام غير المشركين والكفار، والنصارى هم قوم عيسى عليه السلام غير الكفار والمشركين.

وقد ورد مصطلح "اليهود" ثماني مرّات في سبع آيات لم يرد فيها المدح قطّ مثل قوله تعالى ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ**﴾[47] وساوى الله سبحانه بينهم وبين المشركين ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ**﴾[48]. ولعل كلمة "اليهود" التي وردت في القرآن لفظ يشمل الذين كفروا من بني إسرائيل أيضاً قال تعالى ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ**

---

[45] سورة الصف : 10-11
[46] سورة الحديد : 28
[47] سورة المائدة : 64
[48] سورة المائدة : 82

عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[49] فشملت اللعنة الذين كفروا من بني إسرائيل كما شملت اليهود من غير بني إسرائيل.

فكلمة "اليهود" تعني من كان في قوم موسى ولا ينتسبون إلى نبيّ الله إسرائيل عليه السلام، ومنهم من كان في جزيرة العرب، وهم الذين تحالفوا مع المشركين لمحاربة النبي محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله، وذلك واضح في ذكر القرآن لقوم موسى عليه السلام فمنهم من كفر ومنهم من آمن. وجاء ذكر اليهود في القرآن بغير المدح، ولا يصح أن يُشمل "بنو إسرائيل" ضمن كلمة اليهود إلا الذين كفروا منهم.

[49] سورة المائدة : 78

التفريق والتفضيل

جاء القرآن مصدّقاً لكتاب موسى عليه السلام ومادحاً وتبياناً لما فيه من التفصيل لكلّ شيء قال تعالى: **﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا...﴾**[50] وكتاب موسى عليه السلام جعل الله فيه التفصيل لكلّ شيء، قال تعالى: **﴿ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاء رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾**[51] وهذا التفصيل الذي في كتاب موسى عليه السلام، قد بيّنه الله سبحانه تبياناً في القرآن العظيم قال تعالى **﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾**[52]، **فالقرآن هو الكتاب والتبيان لكلّ شيء، وهو الذِكر أي العِلم بكلّ شيء، ولِما كان من التفصيل في كتاب موسى، وجاء مصدقاً له بلسان عربي،** وليس لاغياً كما يظن الجهلاء أصحاب العورة المعرفية المفرّقون بين رسل الله، رغم قوله تعالى **﴿...لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...﴾**[53]. وقد وصفهم الله سبحانه بالكفر قال تعالى **﴿...وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ**

---

[50] سورة الأحقاف : 12
[51] سورة الأنعام : 154
[52] سورة النحل :89
[53] سورة البقرة : 285

وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا...﴾[54]. وقد جمع الله سبحانه كلّ ما في الكتب السابقة في هذا القرآن، فجاء مهيمناً وشاملاً لما فيها ومؤكداً صحته. فبما أنّه تبيان للتفصيل الذي في كتاب موسى عليه السلام، فهو يثبت التفصيل الذي في كتاب موسى ويحويه أيضاً، قال تعالى **﴿...وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾**[55] ليعلم الناس أنّ ما في كتاب موسى موجود في هذا القرآن العظيم والذي هو التبيان له كذلك. ولا اختلاف في أصل الرسالة عند كلّ الرسل. قال تعالى **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾**[56]. **﴿...لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...﴾**. ولا يكون الإيمان إلا بعدم التفريق **﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**[57]. والأجر الإلهي ليس محصوراً على الآخرة، وهو عطاء من الله سبحانه لا يحصره الفكر الإنساني.

لقد تاه الكثيرون في أمر التفريق بين الرسل والرسالات، والتفضيل بينهم، وظنّوا أنّ التفضيل يلغي الاشتراك في الأصل بين الفاضل والمفضول، فحكموا جهلاً

---

[54] سورة النساء : 150-151
[55] سورة الإسراء : 12
[56] سورة الأنبياء : 25
[57] سورة النساء : 152

ببطلان المفضول وعدم قيمته ومفارقته للأفضل، وأفتوا بما عندهم من النقص المعرفي ببطلان التوراة والإنجيل، جهلاً بكتاب الله سبحانه، فالله قد أحال الأمم إلى كتبهم والإلتزام بها ولم يقيّدهم بقبول القرآن وتركِ كتبهم التي جاءت بها رسلهم. قال تعالى ﴿**وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا...**﴾[58] وقال تعالى ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم...**﴾[59] فالتفريق يتعلق بأصل الأشياء، أي أنّه إذا كان هناك تفريق فلا اشتراك بينها في الأصل. بينما التفضيل يكون بين الأشياء التي تشترك في الأصل الواحد. قال تعالى ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...**﴾[60] فهم مشتركون في الرسالة لكن بعضهم أفضل من بعض. وقال تعالى ﴿**...وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا**﴾[61] وهؤلاء مشتركون في النبوّة ويفضُل بعضهم بعضاً. وأمّا إذا كان هناك تفضيل بين شيئين مختلفين في الأصل، فالتفضيل لا يكون في أصلهما إنّما يكون في الغرض الذي يؤديان إليه، بمعنى أنّ التفضيل يكون في النتيجة التي يشتركان في حصولها، كقولك أيهما أفضل الفاكهة أم الشعير، فالتفضيل هنا يتعلق بما يؤديان إليه وهو

---

[58] سورة الجاثية : 28
[59] سورة المائدة : 66
[60] سورة البقرة : 253
[61] سورة الإسراء : 55

الغذاء لأنّهما لا يشتركان في الأصل. أمّا إذا كان ما يؤديان إليه يختلف أيضاً فحينذاك لا يكون هناك إمكانية تفضيل أصلاً لوجود التفريق، وذلك للاختلاف في الأصل وفي ما يؤديان إليه، كقولك "الصلاة خير من النوم" فلا علاقة بين الصلاة والنوم لا في الأصل ولا في ما يؤديان إليه، فلا معنى للتفضيل وذلك لعدم العلاقة. وهناك أيضاً من يخلط بين الخوف والحزن ولا يفرّق بينهما. بينما الخوف يكون من خطر واقع أو مقبل يخشى من حدوثه، وأمّا الحزن فيكون على أمر تمّ وفقد الحزين فيه شيئاً عزيزاً عليه، أو ربما يعزى إلى فشل أصاب عملاً قام به ولم يوفق فيه.

فالتوراة فيها حُكم الله وهي التي ﴿**...يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ...**﴾[62] قال تعالى ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللّهِ...**﴾[63] وقال تعالى ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**﴾[64] فإن كان هناك اختلاف فالحُكم فيه لله سبحانه يوم القيامة وليس للذين يتبعون أهواءهم في هذه الدنيا ويصدِرون الفتاوى بغير حق. وقال

---

[62] سورة المائدة : 44

[63] سورة المائدة : 43

[64] سورة السجدة : 23-25

تعالى ﴿**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللهُ فِيهِ...**﴾[65] وإنّي لأعجب ممن يُطلق عليهم علماء وتتاح لهم المنابر، ومنهم من لا يؤمن بما أنزل الله، وبعضهم من أوقد ناراً وقام بحرق الكتاب المقدّس في جامعة الخرطوم ذات يوم، وقام بتحريض الطلاب على حرق المعرض السنوي الذي أقامه المسيحيون آنذاك.

قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله **"الأنبياء إخوة أمهاتهم شتى ودينهم واحد"**[66]. وقال صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"أنا أولى الناس بعيسى"**[67] فالمؤمن حقاً هو الذي يحترم كلّ رسل الله ويؤمن بهم ويصدِّق كتبهم ويؤمن بها. ولا يظنن أحد أنّه من المسلمين إذا كان في نفسه ازدراء لما أنزل الله من الكتب السابقة، بل هو كذلك إذا لم يكن له تقديس لها، وهذا ما جاءنا في القرآن العظيم، ومن يقل بغير ذلك فليأت بآية من كتاب الله سبحانه جلّ وعلا وهيهات، ولا يكون بذلك إلا مكذِّباً لمحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ولِما جاء به**!!** وإذا قال أحدٌ إنّ تلك كتب أصابها التحريف فنقول له إننا ننكر التحريف ولا ننكرها في أصلها الذي جاء من عند الله. كذلك نؤمن بصِحّة القرآن وننكر ما يقال في بعض الأحاديث إنّه ناقص، وأنّ

---

[65] سورة المائدة : 47
[66] البخاري
[67] مسلم

بعض آياته قد أكلها الداجن[68]، وأنّ هناك آية أراد عمر بن الخطاب أن يضيفها لكنّه خشي أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله[69] وذلك يعني أنّ عمر - إن تمّ قبول مثل هذه الأحاديث - رضي أن يقبل نقصاً في كتاب الله مقابل أن لا يقول الناس عنه ما يخشاه. وهل يتصف بذلك من يؤمن بالله ورسوله؟ وكذلك ننكر من يقول إنّ سورتي الفلق والناس ليستا من كتاب الله وإنما هي تعويذات[70]، وكذلك من يقول **﴿...وَالذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾** بدلاً من قوله تعالى **﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾**[71]. وكذلك القول المنسوب إلى أبي موسى الأشعري **"وإنا كنّا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة ببراءة فأُنسيتها غير أني قد حفظت منها: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً ولا يملأ جوف بن آدم إلا التراب"**[72].

وتعاقب الرسل لا يدلّ على خطأ في رسالاتهم تعالى الله سبحانه عن ذلك، فالدين واحد **﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ...﴾**[73] فما أرسل الله رسولاً بغير الدين وذلك يعني أنه لم يُرسِل رسولاً بغير الإسلام. لكن أتْباع الرسل هم الذين

---

68 البخاري ومسلم
69 النسائي والحاكم
70 أحمد والطبراني
71 البخاري
72 مسلم
73 سورة آل عمران : 19

يغيرون فيما جاءت به الرسل ويحرّفون الكلم عن مواضعه. وأفتى جهلاً بعض من "الذين آمنوا" في أنّ الإسلام هو فقط ما جاء به محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله وأنّهم هم المسلمون حصرياً. وقبِل هذه الفتوى الذين هادوا والنصارى ليفرّقوا بين رسل الله والدين الواحد. الذي جاء من إله واحد والذي يجب الانتباه إليه أنّ القرآن العظيم لم يُخاطب قوم محمد بـ "يا أيها المسلمون" ولا "يا أيها الذين أسلموا"، بل خاطبهم بـ "الذين آمنوا" كما أسلفت. فلا ينبغي أن يقولوا "نحن المسلمون حصرياً" ولا يحقّ لهم ذلك، ولا يسعفهم الاحتجاج بقوله تعالى ﴿**...مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ...**﴾[74] لأنّ غير المسلمين تعني عندهم الكافرين فهل كلّ الرسل من بعد إبراهيم عليه السلام وأقوامهم لم يكونوا مسلمين؟ بل الآية تؤكد أنّهم كلّهم مسلمون ﴿**...مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا...**﴾[75]. إنّ المسلم هو من أسلم لله ولا يوجد في الكون من لم يُسلِم لله طوعاً أو كرهاً. قال تعالى ﴿**...وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا...**﴾[76] لهذا جاء القرآن بتسمية أقوام الرسل للتعريف فسمّى قوم موسى "الذين هادوا"، وأتباع عيسى "النصارى"، وقوم محمّد "الذين آمنوا". والمسلمون طوعاً هم كلّ الرسل والأنبياء ومن تبعهم بإيمان وغيرهم أسلم لله

---

[74] سورة الحج : 78
[75] سورة الحج : 78
[76] سورة آل عمران : 83

كرهاً. فليس المسلمون هم قوم محمّد فقط كما أوضحنا من قبل، كما أنّه ليس "الذين آمنوا" هم المؤمنون.

جاء القرآن مصدِّقاً لكتاب موسى عليه السلام، وتبياناً للتفصيل الذي فيه، وهو يحوي ذلك التفصيل أيضاً، وفات ذلك على كثير من الناس، فبدلاً من التدبّر الذي حثّ الله الناس عليه، انشغلوا بحفظ الحروف وبكيفية القراءة والمبالغة فيها بالغنّة والقلقلة، والإشمام، والإدغام وإلى غير ذلك، وأصبح أكثر القرّاء مثل الحمار الذي يحمل أسفاراً دون أن يعي ما يحمله، ويصدق على كثير من هؤلاء القراء الحديث **(أكثر منافقي أمتي قراؤها)**[77] فالمطلوب هو التدبُّر وليس حفظ الحروف قال تعالى ﴿**...فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ...**﴾[78] ﴿**بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ...**﴾[79]. فالتدبُّر هو المطلوب؛ وقد فهموا خطأ كذلك أنّ الترتيل هو التلاوة وما ينبغي لهم، فحِفظ القرآن ليس هو حِفظ حروفه ورسمِه قال تعالى ﴿**...فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ...**﴾[80]. وإهمال التدبُّر هو الذي ساق الناس إلى التفريق بين رسل الله، وحصر الإسلام فيما جاء به محمّد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله. وتعالى الله سبحانه أن يُرسِل رسولاً بدين معيب ليغيّره بالذي يليه. ولا يكون

---

77 أحمد

78 سورة المزمل : 20

79 سورة العنكبوت : 49

80 سورة المزمل : 20

ذلك إلا ممن يُفكِّر تعالى الله عن ذلك. ولا يوصف أحد بالإيمان إلا إذا آمن بالرسل وكتبهم وبالملائكة بعد الإيمان بالله **"الأنبياء إخوة أمهاتهم شتى ودينهم واحد"**.

فرعون موسى المسرِف في الطغيان

قال تعالى: ﴿**وَلَقَد أَرسَلنَا نُوحا وَإِبرَ ٰهِيمَ وَجَعَلنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلكِتَـٰبَ فَمِنهُم مُّهتَد وَكَثِير مِّنهُم فَـٰسِقُونَ**﴾[81]. أين عاش هؤلاء الرسل الأوائل من جعل الله في ذرّيتهم النبوة والكتاب لهداية البشرية جمعاء؟ قد تكمن الإجابة في الإشارات الجغرافية والتاريخية في الوحي المُنزّل على هؤلاء الرسل بعد ترتيله. ولقد وهب الله سبحانه لكلّ من نوح وإبراهيم عمراً مديداً وجعل في ذريتهما النبوّة.

"كوش" هو الإبن الأكبر لحام ابن نوح، ومن إخوته كنعان ومن أبنائه سبأ وأيضاً نمرود الذي تبنّاه عمّه كنعان فعرف باسمه، ومن أجداده السابقين إدريس عليه السلام وهو إخنوخ الذي قال فيه الله تعالى ﴿**وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا**﴾[82]، وينقل المؤرخ ابن تغري بردي في كتابه «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»[83] رواية عن بناء إدريس للأهرام، فيقول إنه قد استدلّ من فهمه لحركة الكواكب على قرب الطوفان، فبنى الأهرام وأودعها العلوم التي خشي من ضياعها. فكان تلاميذه الهرامسة الذين حافظوا على تلك

---

[81] سورة الحديد : 26

[82] سورة مريم : 57

[83] جمال الدين يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العِلمية، بيروت، 1992

العلوم التي كانت في ذلك الزمن بمثابة التقنية الحديثة لنا إن لم تكن أفضل منها. يدلّ ذلك على شدّة اهتمامهم بها والاشتغال بها في مناحي الحياة في الطب والمعمار والهندسة والفلك. وقد كان منهم **ايمحوتب** الذي بنى الهرم المدرّج في سقارة، و**حم إيونو** واسمه يدلّ على ارتباطه بعبادة الشمس، لأنّه يعني خادم إله **أيونو** وأيونو هي مدينة هليوبولس التي هي "عين شمس" الحالية، وكانت مقراً لعبادة إله الشمس الإله رع و**حم يون** هو المهندس صاحب العِلم الذي بنى به الهرم الأكبر وكلاهما اشتهر بالطب والهندسة والفلك. وينسب إلى ايمحوتب أنّه أوّل من بدأ التقويم السنوي المرتبط بدورة النجم الشعرى والتقويم الشمسي. ويدلّ على عظمة علومهم الأهرامات التي بالجيزة؛ وهي التي عجِز العِلم الحديث عن معرفة كيفية بنائها. فالعِلم الذي بُنِيت به هذه الإهرامات هو من قبيل العِلم الذي استطاع به آصف بن برخيا إحضار عرش بلقيس من سبأ لسليمان عليه السلام في أقل من ارتداد الطرف. وهو العِلم الذي سيكون عند عيسى عليه السلام وقت ظهوره، وهو الذي يُحيي به الموتى. وقد ارتبطت الأهرامات بعبادة الشمس (الإله رع) وقد يكون ذلك لرفع إدريس عليه السلام مكاناً علياً قيل هو فلك الشمس. وكان إله الكنعانيين بعل من أقدم الآلهة الذين ارتبطت عبادتهم بالشمس، حيث بدأت في موطنهم بوادي النيل إلى دارفور ثم انتقلت معهم إلى

فلسطين والشام. وفي العصور اللاحقة صار هناك دمج بين الإله بعل والإله آمون في إله واحد هو بعل آمون وبذلك ربط بعبادة الإله آمون إله وادي النيل. وكان يوجد معبد لبعل في منف[84].

جاء في تاريخ أفريقيا لجامعة كمبردج (1982) أنّ حضارة النوبة العريقة ظهرت بوادرها في ثقافة حلفا قبل 22 ألف سنة، وامتدت إلى 7 ألف سنة[85] ثم ارتقت إلى ما عُرف بثقافة كرمة منذ 16500 سنة[86]. وذكر شارلي بونيه في كتابه "الفراعنة السود ملوك النيل " إنّ حضارة النوبة في كرمة صارت واضحة المعالم منذ 7500 سنة قبل الميلاد وامتدت إلى عصر الممالك الكوشية.

أُطلق إسم مملكة كوش على الأرض الممتدة من أسوان وتشمل كلّ حوض النيل شمال خط العرض 10 وكانت مأهولة بأحفاد كوش حيث أقام ابنه النمرود، الذي عُرف بالقوة والصيد، أوّل مملكة في تاريخ البشرية بعد الفيضان الذي جرى في عهد النبيّ نوح عليه السلام. وقيل

---

[84] أدولف ايرمان 1995: ص 212، ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة

[85] Clark, J. Desmond (25-2-1982). The Cambridge History of Africa. Cambridge University Press. pp: 363-365

[86] Bonnet, Charles & Dominique Valbelle (2006). “The Nubian Pharaohs, Black Kings of the Nile”. The American University Press. Cairo.

إنّ النمرود هو الملِك الذي حاجّ نبي الله إبراهيم عليه السلام في ربّه في قول الله سبحانه: **﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[87] وهذا يشير إلى أنّ نبي الله إبراهيم أيضاً نشأ في أرض كوش، وكذلك ابن أخيه لوط عليه السلام الذي هاجر معه إلى مصر في زمن القحط. جاء في الكتاب المقدس: **"أمر الله إبراهيم بالتوجه إلى أرض كنعان، فخرج هو وابن أخيه لوط وزوجته سارة حتى وصلوها** (سفر التكوين 12: 4،5). **ثم عمت المجاعة كل البلاد، فهبط إبراهيم أرض مصر ليعيش فيها في زمن المجاعة** (سفر التكوين 12: 10)". ويلاحظ هنا أنّ إبراهيم ولوط عليهما السلام ومن معهم هبطوا من أرض كنعان إلى مصر، وأرض كنعان هي الجزء من أرض كوش الممتد من غرب نهر النيل إلى شمال دارفور وتشاد، وهذه المنطقة هي موطن اللغات السامو-حامية. وبعد أن مكث إبراهيم ولوط ومن معهم بمصر ما شاؤوا قفلوا راجعين، فوصف الكتاب المقدس إتجاه سيرهم بدقّة حيث جاء في سفر التكوين 13:1 **"فخرج إبراهيم من مصر صاعداً إلى النجف"**، واستعمل كلمة "النجف" العبرية من غير ترجمة، والتي

[87] سورة البقرة : 258

تعني: الجنوب أو الأرض الجرداء! إذ وردت هذه الآية في الترجمة العربية للكتاب المقدّس كما يلي **"فصعد أبرام من مصر هو وامرأته وكلّ ما كان له ولوط معه إلى الجنوب"**[88] ثم يذكر (سفر التكوين 13: 8-12) **"أنّ إبراهيم ولوط عليهما السلام إفترقا بسبب ضيق المرعى فاستقر إبراهيم في أرض كنعان بينما سار لوط شرقاً واختار سهل الأردن وذلك قبل دمار قرية سدوم"**. والأرجح عندي أنّ لوط عليه السلام استقر في شرق دارفور على مقربة من إبراهيم عليهما السلام، بدليل أنّ إبراهيم عليه السلام جادل الحقّ عزّ وجل في قوم لوط عندما علم أنّ العذاب واقع بهم، ﴿**فَلَمَّا ذَهَبَ عَن إِبرَ ٰهِيمَ ٱلرَّوعُ وَجَاءَتهُ ٱلبُشرَىٰ يُجَـٰدِلُنَا فِى قَومِ لُوطٍ * إِنَّ إِبرَ ٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّ ٰه مُّنِيب * يَـٰإِبرَ ٰهِيمُ أَعرِض عَن هَـٰذَا إِنَّهُۥ قَد جَاءَ أَمرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُم ءَاتِيهِم عَذَابٌ غَيرُ مَردُود**﴾[89]. وكانت حضارة كوش في نماء منذ ذلك الوقت إلى عصر كرمة (2500-1500 ق.م)، ثم مملكة نبتة (850-568 ق.م.)، وآخرها مروى القديمة (568 ق.م. - 350م). وقد أفرد **ثيودور الصقلي للكوشيين باباً كاملاً في كتابه الموسوعي "مكتبة التاريخ"** وقال فيه عنهم: "إنّ الإثيوبيين (الكوشيين) هم أوّل شعوب

---

[88] www.st takla.org/Bibles/BibleSearch/showchapter.php?chapter=13&book=1

[89] سورة هود : 74-76

الأرض وهم الأصليون في وطنهم. وهم أول من وقّر الآلهة وقدّم لها القرابين وعلموا الناس التديّن، ولذلك عُرِفوا بالتقوى وإرضاء الرب من بين كلّ الناس. وهم من أسّسوا الحضارة المصرية، وابتكروا الكتابة، ووهبوا لمصر الثقافة والدين"[90]. وقد يبدو ذلك من مناظرة إبراهيم عليه السلام للنمرود.

[90] Diodorus of Sicily. "The Library of History" with English translation by C. H. Oldfather et. Al. Published in Volume 2of the LEOB Classical Library Edition. 1935. P 89.

هل مات فرعون غرقاً؟

اعتلى عرش مملكة كوش فراعنة كُثر منهم فرعون يوسف وفرعون موسى. ولم يصف الله سبحانه فرعون موسى في القرآن العظيم بغير الطغيان والعلو والإسراف والفساد، وقال سبحانه عنه **﴿...وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾**[91] ولم يصفه بالشرك أو الكفر، حتى حين أدركه الغرق وأعلن إيمانه بإله بني إسرائيل وأنّه من المسلمين وقال **﴿آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**[92] لم يصفه الله سبحانه بغير العصيان والإفساد، قال تعالى **﴿آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾**[93] والعِصيان يدلّ على معرفة العاصي بما رفضه وبما عصى فيه، وهو هنا الإيمان بأنّ موسى رسول من إله آمنت به بنو إسرائيل. وجاء في الحديث **"يُبعث كلّ عبد على ما مات عليه"**[94] ونجّى الله فرعون ببدنه، **﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ...﴾**[95] وبم تفسَّر النجاة بالبدن؟ فإن استخراج الجثة لا يُعتبر نجاة لصاحبها. ولم يقل سبحانه ننجّي بدنك

---

[91] سورة يونس : 83
[92] سورة يونس : 90
[93] سورة يونس : 91
[94] مسلم
[95] سورة يونس : 92

بل قال ننجيك ببدنك ﴿...لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً...﴾[96] وما معنى الآية هنا؟ فليس في الموت غرقاً شيء غريب ليوصَف بأنّه آية. فالخِطاب لفرعون الذي أنجاه الله ببدنه مقصود به التنكيل، ولا يكون ذلك الخِطاب لجثة، إنمّا الآية هي أنّ الله سبحانه نجّاه ببدنه من الغرق وبالتالي ظلّ حياً ﴿...وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾[97] فنجاة فرعون فيها من الحكمة الإلهية أن لا تكون نهايته وموته غرقاً بعد أن نطق وأعلن إيمانه وإسلامه بأنّ موسى رسول من الله آمنت به بنو إسرائيل، قال تعالى ﴿...حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلـهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[98] فهذه الآية توضح أنّ الغرق لا يعني الموت وقد ينجو صاحبه، فقد يُدرَك الغريق قبل أن تفيض روحه. فإن كان فرعون قد غرِق فإنّه لم يمت بسبب ذلك بل نجّاه الله ببدنه، والنجّاة كما أسلفت لا تكون لجثّة، فالغرض هو أن تكون هناك آية له وللناس بعرض حال ما كان عليه من طغيان وعلو وإسراف، حتى قال لهم أنا ربكم الأعلى من أجل أن يشهدوا إذلاله وتجريده من طغيانه وعلوّه وإسرافه، فليس في الموت آية أو عِبرة لأنّه مصير كلّ الناس. فالعِبرة في نجاته ببدنه ذليلاً لا يأبه به أحد ولا يملك من الدنيا شيئاً، فقد أصبح بلا دار تأويه ولا رزق يكفيه، بعد أن كان يقول

---

[96] سورة يونس : 92
[97] سورة يونس : 92
[98] سورة يونس : 90

لقومه إنّه ربهم الأعلى، والربّ الأعلى هو الإله. فإن كان في الربوبية تعدّد فالإله واحد وهو الربّ الأعلى جلّ جلاله. **﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾**[99] والنكال هو العقاب بإذلال ولا يعني الموت، فإن كان قد تم التنكيل بفرعون، فذلك يعني أنه تمّ في حياته، ولا يكون ذلك إلا بعد أن نجّاه الله ببدنه، فقبل حادثة الغرق لقومه كان عالياً من المسرفين، فلا يكون النكال الذي ألمّ به إلا بعد أن أغرق الله قومه الذين استخفّهم فأطاعوه، وهم مؤيدوه الذين أرسل إليهم وجمعهم من المدائن **﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ﴾**[100] فخرج معه آله وجنوده وكلّ من كان يؤيده من قومه في المدن فلم ينج منهم أحد من الغرق. ونجّاه الله ببدنه من الغرق دون مُلكِه وجنوده ومؤيديه فأصبح ذليلاً مشرداً في حاجة إلى المأوى والغذاء، لا يأبه به أحد وإن عرفه، فقد فقدَ كلّ من كان يؤيده أيام حُكمه؛ ومن بقي من الناس قد يكونوا من الشامتين عليه - هذا إن عرفوه أساساً - بعد أن كان عالياً من المسرفين، ليرى نفسه ذليلاً ويدرك أخيراً أنّ موسى رسول من بني إسرائيل الذين كانوا من المستضعفين عنده. والذي يجب توضيحه والتذكير به هو **أنّ المعاناة في الموت لا تدلّ بالضرورة على الكُفر وفساد الآخرة** لذلك فالخروج

---

[99] سورة النازعات : 25

[100] سورة الشعراء : 53-55

من هذه الحياة الدنيا، أي الموت بأي طريقة أو كيفية، لا يُقال إنّه آية، فهو أمر لا بدّ منه لكلّ إنسان كيفما كان عمله، ولا يدلّ على مكانة المرء في الآخرة، فذلك أمر خاص عند الله سبحانه ولا يُشرِك في حُكمه أحداً.

قد يكون هذا التوضيح صادماً لمن لم يتدبّر قول الله سبحانه وتعالى، وكذلك للذي يحكُم بما يسمع فقط ممن يظن أنّهم علماء، وأيضاً لأولئك الذين صار عندهم الخطأ الشائع أفضل من الصحيح النادر ولو كان من كتاب الله، وقد ذكر أحد المؤلفين ممن يُظن أنّه من العلماء[101] "... وذلك لأنّ الله عزّ وجل أخبرنا بأنّ فرعون مات كافراً". سبحان الله!! فأين يوجَد إخبار الله بأنّ فرعون مات كافراً؟ أفي هذا القرآن الذي أنزله الله أم في كتابٍ غيره أُنزِل إلى هذا الذي يُعتقد أنه عالِم؟ لقد افترى على الله الكذب بمقولته الخاسرة هذه قال تعالى ﴿**...إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ * مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ**﴾[102]. ونحن لا نقول إلا ما قال الله في مُحكم تنزيله لا نزيد. وقد استدل ذلك المؤلف على كُفر فرعون بقول الله تعالى ﴿**...وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[103] وهذا أبعد ما يكون استدلالاً على

---

[101] إدريس محمود إدريس (2005) : مظاهر الإنحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، الناشر : مكتبة الرشد

[102] سورة يونس : 69-70

[103] سورة غافر : 46

رأيه الباطل، لأنّه **لا يُحكَم بالكفر على كلّ من يدخل النار**؛ فقد يدخلها المسلم الذي يفتري على الله الكذب ويقول قال الله أو أخبرنا الله ما لم يقله الله، وكذلك العاصي المجاهِر بعصيانه. كما أنّ الآية تشير إلى آل فرعون، فلا يُسعِفه الاستدلال بها. اللهم اغفر لنا وله إن لم يكن مستكبراً وألهمه الصواب لأنّ الاستكبار صفة إبليس وليس الجهل.

لم يكن فرعون موسى من الجهلاء إذن، وإلا لما كان يستحق أن يرسل الله إليه رسولين، وما كان ليتخذ ملأه إلا من أهل العِلم، والعِلم لا يعني الصلاح، فهناك عِلم لا ينفع، ولا يوجد من هو أعلم من إبليس عليه لعنة الله، فإنه يعلم كلّ الخير الذي خلقه الله ليصرِف الناس عنه، وكلّ الشر الذي خلقه الله ليدُل الناس عليه، ويعلم دواخل العباد الذين ليس له عليهم سلطان قال **﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾**[104] فلم يترك من العِلم شيئاً، ولم يقل إنّ مع الله إلهاً آخر، ولم يسأل غير الله، وهو يؤمن باليوم الآخر فما كان منه إلا الاستكبار بعِلمه حيث قال **﴿...أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾**[105] وقال **﴿...أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾**[106]. فاتّخذ فرعون هامان لأمن الدولة، وقرّب إليه قارون الذي كان من قوم موسى حين بغى عليهم بما صار

---

[104] سورة الحجر : 40
[105] سورة ص : 76
[106] سورة الإسراء : 61

عنده من الثروة التي جمعها من صناعته للذهب، فاتّخذه فرعون للاقتصاد، ورأى فرعون وملؤه بما عندهم من العِلم، سيادتهم وتعاليهم على الخلق، وبسطوا سيطرتهم وسلطانهم عليهم، ولم تصحب عِلمهم الرحمة للعباد فأفسدوا، قال تعالى: ﴿**...إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ**﴾[107].

إنّ الذي أراه أنّ علوّ فرعون وإسرافه كما وصفه الله سبحانه ﴿**كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ**﴾[108] قد يكون صادراً من رؤيته أنّه هو المتصرف في العباد بربوبية الحاكِم، أو قد يكون من شهوده أنّه لا حول ولا قوة إلا بالله، وأنّ الحول والقوة لكلّ المخلوقين هي من الله سبحانه، فالمرء إذا شهِد بذلك حقّاً، فإنّه يرىّ كلّ فعل في الكون هو بحول الله، والفاعل هو الله – وهذا حقّ، ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾[109] لكن هذا الحال ليس ملائماً للحكم بين الناس. وما استقام حكم فرعون إذ أنه في مِثل تلك الحال لا يرى في فعله هو أي خطأ، وأنّ فعله - كما كان يراه- هو فعل الله. ولم تكن رسالة موسى إليه ليشهد أنّ لا إله إلا الله، بل كانت ليُقِر بأنّ موسى رسول من ربّ العالمين، وهي حالة فرقان بين أفعال العباد وفعل الله على الرغم من حقيقة أنّ

---

[107] سورة القصص : 8
[108] سورة الدخان : 31
[109] سورة الصافات : 96

كل فعل هو من الله رفيع الدرجات ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ ولكن العارفين يُميزون بين قضاء الله المطلق والقضاء المقيَّد[110] وهذه المعرفة والتمييز هما اللذان يُخرجان الغارقين في أوحال وحدة الفعل من سكرتهم إلى التعامل بالشرع أي القانون، لهذا طلب موسى عليه السلام من فرعون الإقرار بأنّه رسول من ربّ العالمين، ليتيسر له إخراج بني إسرائيل من طغيان هذا الذي لا يرى الفرق في الأفعال بين الصالح والطالح، وصحّة كلّ فعله. وبما أنّه هو الحاكم على الناس، لم يتردد في القول بأنّه هو ربّهم، بل أسرف في هذه الربوبية بالقول إنه ربّهم الأعلى وهي الألوهية. فالربوبية درجات متعددة، أما الربّ الأعلى فهو الإله سبحانه والإله واحد جلّ شأنه.

الربوبية ودرجاتها:

تختلف الربوبية باختلاف المربوب ومنها ربّ البيت، وربّ الأسرة، وربّ الفلق، وربّ الناس، وربّ المشارق والمغارب، وربّ محمّد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله، وتختلف عظمتها بعظمة المربوب. وكذلك تعرف عظمة المِلك بما يملك، فهناك مِلك الفرس،

[110] كتابي "جوهر الحياة" الصادر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام 2018

وملِك الروم، وملِك الناس، وملِك يوم الدين. فقد قال يوسف عليه السلام لصاحبه الذي كان معه في السجن حين خرج ﴿**...اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾[111] وقصد يوسف عليه السلام بالربوبية هنا الملِك فرعون الذي كان في عهده، وكان يريد من صاحبه عرض حاله على ربّه الملِك (فرعون)، وليس على عزيز مصر الوالي المُعَيّن من قِبل الملِك فرعون، لأنّ العزيز هو الذي أمر بسجنه رغم ما تبيّن له من خطأ زوجته، بعد أنّ شهد شاهد من أهلها، ورأى بنفسه أنّ قميصه قُدّ من دُبر وقال لها ﴿**...إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾[112]، وقال في الفصل بينها وبين يوسف آمراً يوسف أن يبتعد عن زوجته ﴿**يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا...**﴾[113] وقال لزوجته ﴿**...وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾[114] فعلى الرغم من ذلك وقوله لزوجته ﴿**...إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**﴾ أمر بسجن يوسف ظلماً، وذلك حتى يُسكِت ما يدور في المجتمع من أنّ زوجته تراود فتاها عن نفسه. ولقد قالت إمرأة العزيز للنسوة اللاتي قطعن أيديهن حينما عرضت عليهن يوسف ﴿**...وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[115] فاتّخذ العزيز قراراً بسجن يوسف رغم

---

[111] سورة يوسف : 42
[112] سورة يوسف : 28
[113] سورة يوسف : 29
[114] سورة يوسف : 29
[115] سورة يوسف : 32

ما رأى من بيان براءته في قميصه الذي قُدّ من دُبر، لأنّ في ذلك حفاظ على ولايته ومن تعلُّق زوجته به. وقد بيّن الله سبحانه وتعالى ذلك، فقد رأى العزيز أنّ قميص يوسف قدّ من دبر، وشهد شاهد من أهلها بذلك، ورغم ذلك أمر بسجن يوسف قال تعالى ﴿**ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُاْ الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ**﴾[116] فأراد يوسف عرض حاله على الملِك فرعون وشكواه من عزيز مصر الذي أدخله السجن ظُلماً، لذا قال لأحد صاحبيه الذين كانا معه في السجن وأفرج عنه ﴿**...اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ**﴾ قاصداً الملِك فرعون وقال لهما ﴿**...أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا...**﴾[117] فربّه الذي يشرب الخمر هو الملِك. وقد أقرّ الله سبحانه وتعالى ربوبية الملِك فرعون على صاحب يوسف هذا قال تعالى ﴿**...فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ...**﴾[118] أي ذكر الملِك، وهي ربوبية الحاكِم. وأعلى الربوبية ربّ محمد، وأعلى المربوبين محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله حيث قال تعالى ﴿**عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ...**﴾[119] فلم يُشرك زوجاته معه في ربوبيته.

رجع إلى يوسف صاحبه الذي أنساه الشيطان ذِكر أمر يوسف عند ربّه الملِك، بعد أن خرج من السجن، وكان

---

[116] سورة يوسف : 35
[117] سورة يوسف : 41
[118] سورة يوسف : 42
[119] سورة التحريم : 5

مُرسلاً من قِبل ربّه الملِك فرعون، ليسأل يوسف عن تأويل رؤياه، فأخبره يوسف عليه السلام بتأويلها، فأُعجِب الملِك بذلك التأويل، وأرسل إلى يوسف ﴿**وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ...**﴾[120] وما كان يوسف عليه السلام ليستجيب لدعوة الملِك قبل أن تثبت براءته وعدم صحّة سجنه من قِبل العزيز الوالي على مصر. ﴿**...فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ...**﴾ للمرة الثانية من قِبل ربّه الملِك طالباً حضوره ﴿**...قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ...**﴾[121]، وهذا إقرار من يوسف عليه السلام بربوبية الملِك (فرعون) الحاكِم، وطلب من صاحبه الرجوع إلى ربه الملِك للنظر في أمر سجنه قبل أن يلتقي به، وقال له ﴿**... ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاَّتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ...**﴾[122] ليتحرّى في الأمر. وتقطيع الأيدي لا يعني أنّ أولئك النسوة قمن ببتر أيديهن، فللقطع معانٍ كثيرة ولا يعني البتر تحديداً كقطع الرحِم مثلاً بالتوقف عن التواصل بين الأرحام، وقطع الطريق بمعنى منع الناس من المرور به، وفي هذه الآية ربّما أحدثت النساء بعض الجروح في أيديهن بسبب شدّة الدهشة.

أكّد يوسف لصاحبه أنّ العزيز في مصر يعلم القصة كاملة، وأشار إليه يوسف بأنه ربّه ﴿**...إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ**

---

[120] سورة يوسف : 50
[121] سورة يوسف : 50
[122] سورة يوسف : 50

عَلِيمٌ﴾[123] لأنّه كان تحت حكمِه وربّاه في بيته واتخذه ولداً مما يدلّ على عقمه أو أنّه لم يكن له ولد إذ قال لامرأته **﴿...أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا...﴾**[124] وكذلك يبدو أنّ فرعون موسى لم يكن له ولد وإلا لما اتخذوا موسى ولداً لهم. ونجد في القرآن الإشارة لكلمة إمرأة لمن ليس لها ولد.

استدعى الملِك (فرعون) النسوة بما فيهن إمرأة العزيز ليتحرّى في الأمر، فلا بدّ من إجابة طلب يوسف الذي قام بتأويل رؤياه. يُلاحَظ من أدب يوسف عليه السلام وسموّ أخلاقه أنه لم يُشِر إلى امرأة العزيز، رغم أنّها هي التي راودته عن نفسه لأنّه تربّى في بيتها، بل طلب مساءلة النسوة اللاتي جاءت بهن لأنّه كان ينظر إلى تربيته ولداً للعزيز. وعندما تمّت المساءلة والتحقيق أمام الملِك (فرعون) **﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ...﴾**[125] وشهدت النسوة ببراءة يوسف **﴿...قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ...﴾**[126]، وتبيّن للملِك (فرعون) أنه لم يكن هناك سبب لسجنه، عندها **﴿...قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي**

---

[123] سورة يوسف : 50
[124] سورة يوسف : 21
[125] سورة يوسف : 51
[126] سورة يوسف : 51

كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّىءُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[127].

لما تبيّن لفرعون صِدق يوسف وبراءته مما اتهم به، وما رأى عنده من عِلم في تأويل الرؤيا، وما وقع عليه من ظلم من الوالي عزيز مصر باعتراف امرأته وشهادة النساء، ألغى قرار الوالي بسجن يوسف وأمر بإحضاره معززاً مكرّماً **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مِكِينٌ أَمِينٌ﴾**[128] ورأى يوسف من عدل فرعون وإنصافه وترحيبه ما جعله يرغب في العمل معه **﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾**[129] فاتخذه فرعون (ملِك كوش) ليكون العزيز الوالي على مصر لأنّه حفيظ عليم بدلاً عن العزيز الذي سجنه ظلماً. وجاء إخوة يوسف إلى مصر **﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ إِنَّ اللّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾**[130]. وخاطبوه بصفته العزيز ولم يدركوا أنّه أخوهم. وهذه الحادثة توضّح أنّ الأرض التي جاء منها إخوة يوسف حسب الرواية التوراتية، كان يسكنها نبي الله يعقوب عليه السلام، وهي ليست الأرض المباركة أو المقدّسة التي ذكرها الله

---

[127] سورة يوسف : 51-53
[128] سورة يوسف : 54
[129] سورة يوسف : 55
[130] سورة يوسف : 88

سبحانه بل هي التي مسّهم فيها الضّر والقحط، وإلا لما آثر يوسف عليه السلام مصر عليها ولما جاء منها نبيّ الله يعقوب. كما أنّ رؤيا فرعون التي طلب من يوسف تأويلها تدلّ على أنّ حياة الناس اليومية لها علاقة بتربية البقر، وإذا نظرنا كذلك إلى بقرة بني إسرائيل التي أمرهم نبيّهم موسى عليه السلام بذبحها لإحياء الميت معجزة له، كانت بقرة تتخذ للحراثة ﴿**...تُثِيرُ الأَرْضَ وَلاَ تَسْقِي الْحَرْثَ...**﴾[131] ما يدلّ على اعتماد الناس على الأبقار في حياتهم الزراعية وذلك يشير أيضاً كما أرى إلى حدوثه في حوض النيل لا في فلسطين.

[131] سورة البقرة : 71

السُكر العرفاني

ما كان فرعون موسى يرى خطأ فيما يفعل - كما ذكرنا- بل كان يرى كل ما يقوم به صواباً. **﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ...﴾**[132] وقبلوا منه ما كان يفعل **﴿...إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾**[133] فأظهر في الأرض الفساد. والفساد يعني هنا إهلاك الحرث والنسل وليس المجون كما يتوهّم بعض الناس. قال تعالى **﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾**[134] وقيل إنّ أحمد بن حنبل[135] لعن يزيد بن معاوية فقال له إبنه لماذا تلعنه؟ قال كيف لا ألعن من لعنه الله؟؟ فقال له وهل لعن الله يزيداً في كتابه؟ قال نعم قال تعالى **﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾**[136] يشير إلى إفساده في قتله الحسين عليه السلام وعترة النبي في كربلاء. لذلك كان المقصود من رسالة موسى إخراج بني إسرائيل من

---

[132] سورة الزخرف : 54

[133] سورة الزخرف : 54

[134] سورة االبقرة : 205

[135] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، 1415 هـ

[136] سورة محمد : 22-23

تحت سلطة فرعون لطغيانه وإفساده، لأنّ قومه صاروا على قناعة بما هو عليه من عِلم وحُكم. وهذا هو سبب طغيانه. **ولا يُشترط في الطغيان الكفر أو الشرك، ولا يرتبط بهما. فقد يكون الطغيان من حاكِم مسلم** كما حصل من الحكام الطغاة المسلمين في قتلهم للمسلمين في بلادهم إلا القليل منهم. فأرسل الله سبحانه موسى لإخراج بني إسرائيل من حُكم فرعون وطغيانه. وهذه بالتحديد رسالة موسى عليه السلام ولم تكن لإخراج فرعون من الكفر أو الشرك.

إنّ الذي تستغرقه حال "لا حول ولا قوة إلا بالله" يعيش في توحيد الفعل أو الفناء عن الفعل، لأنه لا يرى فعلاً لغير الله سبحانه، فتستوي عنده الأفعال الصالحة والطالحة لأنه يراها فعل الله، وتبطل الشريعة أي القانون في نظره؛ وهذا الاستغراق في الحوقلة هو الحال الذي قال فيه العارفون **(للربوبية سرّ إذا انكشف بطلت الرسالات)**. وهي حالة تعتري السالكين. فمنهم من قال بعد أن وصل إليها **"سبحاني ما أعظم شأني"**[137] ومنهم من قال **"أنا الواحد الفرد الكبير بذاته"**[138] وهي حالة من السُكر العِرفاني، وهي ضلال في حُكم الشرع، لكنها لا تصدر في بداية التأمل عن إنكار الخالق، بل عن تدبُّر لفعله سبحانه والاستغراق في عظيم فعله في الكون وفي نفس المتدبِّر حتى يرى فعله

---

137 أبو يزيد البسطامي طيفور

138 عبد القادر الجيلاني في كتاب "الفيوضات الربانية"

هو فعل الخالق سبحانه فيقول **"أنا من أهوى ومن أهوى أنا"** [139] فلا يرى الإنسان لنفسه فعلاً، بل ما يراه هو فعل الله، ثم لا يرى وجوداً لغير الله الفاعل لكلّ شيء، وهو نفسه فعل من فعل الله، وهي على درجات فمنها السُكر والفناء والغيبة والسحق والمحق. ولا يمكن تخطي هذه الحال إلا بالشريعة. فإن لم يدركهم أحد من العارفين، أو إن لم تتداركهم العناية الإلهية أسقطوا التكاليف، واستوى عندهم الصالح والطالح، وهي حالة من الضلال العالي لانتفاء الشِرك فيها لهيمنة الواحدية وعدم رؤية الغير وانعدام السوى، ولا تُحمد رغم عظمتها إلا لما يليها من السلوك الشرعي. قال تعالى ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى**﴾ [140]. يقول أبو مدين رضي الله عنه:

فإنّا إذا طبنا وطابت نفوسنـــــا

وخامرنا خمر الغرام تهتكنـــــا

فلا تلُم السكران في حال سكره

فقد رُفِع التكليف في سُكرِنا عنا

فإن كان الذي على رئاسة الناس، وصاحب سلطة عليهم ودخل في هذه الحال، فإنّ حكمه فيهم لا تضبطه شريعة،

---

[139] الحسين بن منصور الحلاج

[140] سورة الضحى : 7

لاستواء الأفعال عنده، ولا يرى الفساد فساداً، وقد يكون فرعون موسى وصل إلى هذه الدرجة من المعرفة، ولم يكن من بين قومه وآله وملئه من يمكنه ردّه أو إقناعه بغير ما هو عليه، بل ربما استمرأ الملأ من حوله حالته هذه وعاثوا في الأرض فساداً كما تفعل أجهزة الأمن اليوم عند كل حاكِم طاغية، ويتصرّفون من دون الرجوع إليه، لا يردهم عن التسلط الطغياني وازع. والمستضعفون من الرعية لا يمكنهم الوصول إلى الحاكِم فرعون فإنّه ﴿**...كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ**﴾ في ما كان يفعل والله لا يحبّ المسرفين، وفي ظل حُكم طاغية متعال، فإنّ آله ومن حوله يتصرّفون بغير قيود ويُفسِدون بلا حدود. وكذلك كان آل فرعون. قال تعالى ﴿**...أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾.

إشراك هارون في الرسالة

أرسل الله سبحانه موسى إلى فرعون قائلاً له: **﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾**[141]، ولم يُشرك معه أخاه هارون بداية الأمر. بل طلب منه أن **يقول لفرعون إنّه رسول ربّ العالمين ليُرسِل معه بني إسرائيل**، وكان ذلك بعد أن عاد من الشام مع زوجته بنت نبيّ الله شعيب قاصداً الأرض التي خرج منها خائفاً يترقّب من حُكم فرعون في أرض النوبة بعد أن قتل منهم نفساً، لكنّه عاد مطمئناً، بعد أن تلقى من شعيب عليه السلام ما طمأنه حيث قال له **﴿...لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾**[142]. وكان شعيب عليه السلام قد رحل من مملكة كوش إلى ما يعرف اليوم ببلاد الشام بسبب ما كان يجده أبناء إسرائيل (يعقوب) من سوء معاملة الحاكِم في كوش لغير النوبيين. ويؤكد هجرة شعيب إلى الشام ما جاء في العهد القديم أنّ زوجة موسى وهي بنت شعيب عليهما السلام كانت كوشية، وهذا يدل على أنّ أمها كوشية لأنّ اليهود يعتبرون النسب بالأم، ويُستدل على ذلك بما جاء في العهد القديم سِفر التثنية إصحاح 7، 3 و 4.

---

[141] سورة طه : 24

[142] سورة القصص : 25

واسم شعيب في الكتاب المقدّس "جثرو" ويعني في اللغة المصرية القديمة المقدّس[143].

ولما وصل موسى إلى الجانب الأيمن من الطور أي جبل البركة أو "البركل" في الوادي المقدّس من البقعة المباركة عائداً من مدين واقترب من الشجرة التي تشتعل ناراً دون أن تحترق وكان قصده النار فسمع النداء الإلهي **﴿...فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾**[144]. جاء موسى من مدين في أرض الشام بعد أن قضى فيها سنين عدداً، ويوضّح الخطاب الإلهي لموسى رجوعه إلى موطنه أي بلاد النوبة التي نشأ فيها وفرّ منها أيضاً لقتله رجلاً منهم. وموسى عليه السلام هو النبيّ الوحيد الذي اعتذر عن قبول الرسالة واقترح على الله أن يرسل هارون بدلاً عنه، ولم يقبل الله منه اعتذاره ولا اقتراحه لمكانته عند الله سبحانه والأمر الإلهي لا يُرد. قال تعالى **﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾**[145] وجاء في اعتذار موسى عن التكليف **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ * وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ**

---

[143] سيد توفيق وسيد أحمد علي الناصري، "معالم تاريخ وحضارة مصر من أقدم العصور حتى الفتح العربي"، دارالنهضة العربية، القاهرة، 1989، ص 56

[144] سورة طه : 40.

[145] سورة طه : 41

فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ [146] ولكن الله سبحانه **﴿قَالَ كَلَّا...﴾** [147] و أمر هارون بالذهاب معه قبل أن يشركه في الرسالة **﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ * فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾** [148] ولم يقل رسولا، لأنّ التكليف بالرسالة كان لموسى ولم يشمل هارون بعد، وعند ذلك وبعد أن أذِن الله أن يذهب هارون معه، طلب موسى من ربّه أن يجعل معه أخاه هارون ليكون له وزيراً وشريكاً في الرسالة بعد أن رفض اعتذاره قال **﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾** [149] ويوضح موسى احتياجه لأخيه هارون لفصاحته، فبعد عدم قبول الله لاعتذاره واقتراحه بجعل الرسالة لأخيه هارون، يأتي الطلب من موسى عليه السلام لإشراك أخيه معه في الرسالة **﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾** [150] فاستجاب الله سبحانه لطلبه **﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾** [151] وأخبره سبحانه **﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ**

---

[146] سورة الشعراء : 12-14
[147] سورة الشعراء : 15
[148] سورة الشعراء : 15-17
[149] سورة طه : 29-32
[150] سورة القصص : 34
[151] سورة القصص : 35

سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[152] وأشرك معه أخاه هارون في الرسالة قال تعالى **﴿اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾**[153] فقال "رسولا" ربّك ولم يقل "رسول" ربك لأنه قد تم إشراك هارون في الرسالة فأصبحا رسولين برسالة واحدة. يُلاحظ قوله تعالى **﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا...﴾** لأنّ المخاطبة لطاغية يرى صحّة كلّ ما يفعل. والرسالة التي أمرهما الله بها بالتحديد هي **﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾**[154] وليس أمره بأن يدخل في الإسلام.

يُلاحَظ أنّي قد بيّنت رسالة موسى منذ بدايتها في تكليم الله له من الشجرة حين عودته من مدين في الشام إلى بلاد النوبة، إلى محاولته إدخال قومه الأرض المقدّسة حيث انتهت رسالته حينما رفض قومه الذهاب معه إليها بقولهم **﴿...فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾**[155] وإعلان نهاية رسالته إلى الله سبحانه حيث **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ**

---

[152] سورة طه : 36
[153] سورة طه : 42-47
[154] سورة طه : 47
[155] سورة المائدة : 24

نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[156]. والمتدبر لما أوردته فيها من القرآن الحكيم يجد إخراجها بالصورة الواضحة، ولكن بترتيل الآيات من مختلف السور، فمنها ما كان في سورة البقرة، وسورة المائدة والأعراف ويونس وسورة طه، ومنها في سورة القصص وسورة الشعراء والدخان، فبالترتيل اتّضحت الصورة كاملة، ولكنّها لم تكن لتبدو بمثل هذا الوضوح في سورة واحدة، فالقرآن لا تدرك معانيه وكنوز معارفه إلا بالتدبّر الذي أمر الله به مع الترتيل للآيات في مواضعها من مختلف السور.

جاءت رسالات الرسل كلّها لنشر الأخلاق والدعوة إلى التعامل بها، أي البلاغ بتشريع يحفظها، مع التأكيد على حرية الناس الدينية في اتباعهم أو عصيانهم للرسل، ولا يكون ذلك إلا بتوفر الأمن والحريّة، وما عاقب رسول من الرسل أحداً لعصيانه **﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾**[157]، لأنّ الرسل ليسوا رؤساء حكومات ولا سلاطين ولا أصحاب سيطرة على من أُرسِلوا إليهم، بل كانوا مظاهر الرحمة ومحاسن الأخلاق. قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام **﴿...فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[158] وقال تعالى لمن أرسلهما

---

[156] سورة المائدة : 25

[157] سورة الشعراء : 216

[158] سورة إبراهيم : 36

إلى الطاغية فرعون ﴿**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا**...﴾ رغم أنّ الله ذا القوة المتين معهما لأنّ الأخلاق أساس الدعوة. ولم يُرسِل الله سبحانه رسولاً لقتل الكفار والمشركين به، وما كان ذلك ديدن الرسل. بل لم تكن الرسالات من جميع الرسل إلا البلاغ لإقامة المجتمع الفاضل بحُسن الخُلق، لا تشكيل حكومات. وللناس كامل الحرية في قبول إبلاغ الرسل بالرسالة أو رفضها. فالرسالات هي الشرائع أي القانون الإلهي الذي يحفظ التعامل الأخلاقي في المجتمع بأفضل ما يمكن ليسود الأمن والصدق والطمأنينة بين الناس. فأرسل الله رسله رحمة بعباده ليبين للناس الخير في السلوك لسعادتهم ﴿**...إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾[159].

[159] سورة البقرة : 143

حقيقة رسالة موسى

قلنا إنّ رسالة موسى التي أشرك الله فيها معه أخاه هارون لم تكن لإدخال فرعون في الإسلام، **بل كانت لإخراج بني إسرائيل من طغيانه وإفساده في الأرض**، إذ كان يقوم بقتل الرجال من بني إسرائيل واستحياء النساء. لذلك كانت الدعوة إلى فرعون للإيمان بأنّهما رسولان من ربّ العالمين، فإذا تمّ الإيمان والاعتراف بهما، سهّل عليهما الأمر لإخراج بني إسرائيل من حُكمه وطغيانه والحفاظ على أرواحهم. فلم تكن رسالة موسى لفرعون -كما ذكرنا- لإخراجه من الشرك والدخول في الإيمان بالله، كما ذهب إلى ذلك من لا يسنده نصّ ولا تُسعِفه افتراضات. بل ذهب أكثر الناس إلى أنّ رسالة موسى كانت لطاغية كافر متسلّط على مسلمين وعليه أن يأمره بالإسلام، بينما الأمر لا علاقة له بالكفر والإسلام. فإنّ بني إسرائيل الذين سعى فرعون في تقتيلهم ما كانوا يوصفون بتديّنهم، ولم يرد أنّ فرعون كان يقتلهم من أجل تدينهم وإلا لكان القتل شمل النساء والرجال. فقد ورد أنّ سبب تقتيلهم كان لرؤية رآها بأنّ أحد أبناء بني إسرائيل سيكون سبباً في زوال ملكِه لذلك كان يقتل الأبناء. بينما ورد أنّه كان يفعل ذلك لتوازن المجتمع بين النوبيين وبني إسرائيل بقتل رجال بني إسرائيل حتى

يتم التزاوج بين رجال النوبة ونساء بني إسرائيل. وعليه فإنّ رسالة موسى كانت أساساً لحرية الإنسان بغضّ النظر عن دينه. فإنّ بني إسرائيل الذين أخرجهم موسى من طغيان فرعون كانوا لا يتوانون في إيذاء موسى وهم يعلمون أنّه رسول الله. قال تعالى على لسان موسى **﴿...يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ...﴾**[160].

وبعد إخراجهم من حُكم الطاغية المسرف، كان على موسى عرض الرسالة على بني إسرائيل لإقامة المجتمع الفاضل، وهو البلاغ بالقانون أي الحُكم الذي أُرسِل به كلّ المرسلين. ولا إكراه على من يُبلَّغون بالرسالة لقبولها، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر. أمّا قبل إخراجهم فقد كانت الرسالة لبني إسرائيل هي الإيمان بأنّ موسى رسول الله، قبل أن يكون هناك طرح للرسالة أي الحُكم وهو القانون الإلهي لخلق المجتمع الفاضل، إذ لم يكن هناك مجتمع آمن يمكنه الإستماع لذلك بل كانوا في حالة إضطهاد وقمع وتقتيل. فالحاجة كانت للأمن والحرية وهي مقصد الرسالات أولاً عند كلّ المرسلين عليهم السلام، ولا يبلغون رسالاتهم إلا بعد أن يتوفر الأمن وتسود الحرية حتى يكون قبول الرسالة دون إكراه، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

---

[160] سورة الصف : 5

حين أتى موسى وهارون فرعون وقالا ﴿**...إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ...**﴾[161]، كان فرعون لا يرى في رعيته من هو أعلى منه ليكون رباً عليه، بل يرى أنّه هو ربّ موسى وهارون لأنّه الحاكِم. قال فرعون: ﴿**...فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى**﴾[162].

ردّ فرعون على موسى وأخيه بسؤال عن ربّهما، وأراد منهما أن يسمّياه باسمه لأنّ الربوبية هنا للحاكِم، لكن موسى لم يُقِر بربوبية فرعون كما أقرّ يوسف عليه السلام من قبل بربوبية العزيز الذي ربّاه في بيته، حينما افتتنت به زوجته ورفض طلبها ﴿**...قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ...**﴾[163] فأقرّ يوسف عليه السلام بربوبية الحاكِم وقال إنّه ربّي. أما رسالة موسى عليه السلام فقد كانت تقتضي منازعة فرعون لإخراج بني إسرائيل من حكمه، لذلك لم يُقر بربوبيته رغم أنّه أحسن مثواه وربّاه في بيته. وقد رفع موسى عليه السلام سقف الربوبية، وردّ على فرعون ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾[164] ولم يسمِّه رغم أنّ السؤال كان "من".

---

[161] سورة طه : 47
[162] سورة طه : 49
[163] سورة يوسف : 23
[164] سورة طه : 50

ثم تجاهل فرعون هارون بعد ذلك، وبدأ الحوار مع موسى عليه السلام، لأنّه كان يرى أنّ له فضلاً عليه، ويمتنّ بتربيته، فكيف لا يرى ربوبيته عليه، ولا يجيب على السؤال المباشر "فمن...؟" وهذا ما جعل فرعون يذكر فضله على موسى بالتربية في قصره وقد انتشلوه من اليمّ وليداً، فقصده بالحوار **﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾**[165]. فالذي يتّهم غيره بالكفر لا يرى نفسه من الكافرين، ولا يقبل أن يوصَف بما يتهم به الآخرين. ولم يقبل موسى عليه السلام الاتهام بالكفر **﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ * فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾**[166].

اتهم فرعون موسى بالكفر لقتله ذلك النوبي من قوم فرعون، ونفى موسى عليه السلام اتهامه بالكفر، ونسب تلك الفِعلة إلى الضلال لأنّ القتل لم يكن عمداً من موسى حينما وكزه. قال رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله **"لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"**[167] فوصف التقتيل بالكفر.

---

[165] سورة الشعراء : 18-19

[166] سورة الشعراء : 20-21

[167] البخاري ومسلم

جدير بأن يُلاحظ قول موسى عليه السلام ﴿**فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا...**﴾ فكلمة حُكم لا تعني غير الشرع، أي القانون الذي يتعامل به الناس ويتحاكمون إليه، وهي كذلك عند كلّ الرسل عليهم السلام، ولا تعني السيطرة والتسلط قال تعالى للرسول صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله ﴿**لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ**﴾[168]. وقال تعالى ﴿**...فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ...**﴾[169]، فموسى عليه السلام لم يك ذا سلطة، بل كان في حالة فرار وخوف من فرعون قبل أن يصطفيه الله بالرسالة فوهب الله له الحُكم. وهذا الحُكم هو الشرع الذي يحفظ التعامل في الحقوق بين الناس لحِفظ الأخلاق لإنشاء المجتمع الفاضل ولا يُفرض عليهم، وهو يُخرِج فرعون من حالة سكره وطغيانه تلك. ولم يلتفت فرعون من شدّة طغيانه، إلى ذلك الحُكم الذي ذكر موسى أنه أُعطي له، ولم يطلب من موسى تبيين ما ذكره من الحُكم الذي يدّعيه. والحُكم إنّما هو الشرع الذي تأتي به الرسل لتبيان الحقوق وهو التصرُّف بالطريقة التي تُحافِظ على التعامل بالأخلاق. والتشريع هو المستوى الأدنى من الرسالة التي هي حُسن الخُلق إذ فوق التشريع ثمّة العفو والإحسان واحترام الآخر كيف كان دينه ولو كان كافراً أو مشركاً.

---

[168] سورة الغاشية : 22

[169] سورة النحل : 35

طعن موسى في امتنان فرعون عليه، فإن كان الامتنان هو تربيته له في قصره حيث يوجد التكريم لكلّ من في القصر، فقد استعبد فرعون كلّ بني إسرائيل الذين ينتمي إليهم موسى، ولا يمكن لموسى أن يقبل بتربيته في القصر الفرعوني ثمناً لاستعباد بني إسرائيل. ولم يُنكِر أيضاً تربية فرعون له في قصره لكنّه وضعها في مقابل استعباد فرعون لكلّ بني إسرائيل فقال موسى عليه السلام **﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾**[170]. وشعر فرعون بالحرج في ردّ موسى القاسي على امتنانه بالتربية، فانصرف من أسلوب الامتنان إلى أسلوب الحوار لكشف رسالة موسى، فأراد أن يُظهِر جهل هذا الذي يُدافِع عن بني إسرائيل، حين قوبل امتنانه بفضح سوء تعامله مع قوم من امتن عليه بعد أن رفض القبول بربوبيته.

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[171]

ويبدو أنّه كان يريد أن يصل بموسى إلى أن يقول أنّ الفاعل هو الله سبحانه في المخلوقين، وأنّ أفعالهم هي فعل الله فيهم فقد قال موسى **﴿...رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾**[172] فسأله عن الماهية. وقد كان سؤال فرعون قبلها (من ربّ موسى وهارون؟)، كأنّ كلّ الأسئلة كان مراد

---

[170] سورة الشعراء : 22
[171] سورة الشعراء : 23
[172] سورة طه : 50

الإجابة منها بأنّ فرعون هو ربّهم. ولم يُقِر موسى بربوبية فرعون في إجابته على السؤال ورفض أن يسمّيه، فكان هذا السؤال من فرعون عن الماهية لاختبار رسالة موسى، بعد أن رفض تسمية ربّه فكان ردّ موسى عليه السلام بعيداً عن الإجابة المقصودة:

﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [173].

ولم يكن ذلك عن جهل منه عليه السلام. فتعمّد الإجابة غير المباشرة في بعض الأحيان هو الصواب إذا كانت الإجابة المباشرة لا توصل إلى لبّ الحقيقة وإلى القصد المراد منها في إرساء الأخلاق وبسط الأمن، فكانت إجابات موسى كلها عن المربوبين لا عن اسم ربّ المربوبين. ولم تكن رسالة موسى عليه السلام لتصحيح اعتقاد فرعون في الله سبحانه وتعالى، بل لإخراج بني إسرائيل من طغيانه. فقد كان فرعون لا يرى خطأ فيما يفعل، فطغى في الأرض يفعل ما يشاء، وبما أنّ إجابة موسى عليه السلام لم تكن عن السؤال، فإنّ فرعون استهزأ بموسى والتفت إلى من كان في المجلس مشيراً إلى خطأ الإجابة:

﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [174].

---

[173] سورة الشعراء : 24

[174] سورة الشعراء : 25

وهنا بادر موسى بإجابة ثانية ليبعد الحرج عن نفسه، وخاطب المجتمعين الذين أراد فرعون تأليبهم عليه بما يمكن أن يخرجهم من ربوبية فرعون:

﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ [175].

وهي كذلك لم تكن إجابة عن سؤال فرعون الذي هو **﴿...وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾** بل فيها دعوة للخروج من ربوبيته حيث قال موسى **﴿... ربّكم وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾**

فلم يتردد فرعون في اتهام موسى بالجنون لطرحه ربوبية غيره، فاتجه إلى القوم مخاطِباً ليصرف الناس عما يقول موسى:

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ [176].

وبادر موسى لردّ التهمة عنه، فإذا ارتضى القوم ربوبية فرعون فالله ربّ كلّ شيء:

﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [177].

وبما أنّها لم تكن إجابة مباشرة عن سؤال فرعون للمرّة الثالثة، رأى فرعون أنّه قد كسب الجولة في ذلك

---

[175] سورة الشعراء : 26
[176] سورة الشعراء : 27
[177] سورة الشعراء : 28

الحوار، وما عليه إلا إصدار القرار كما أنّه خشي أن يفتح موسى أذهان الناس لربوبيةٍ غير ربوبيته:

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[178].

هنا خرج فرعون عن منطق الحوار، ولجأ إلى استخدام القوة بسجن موسى، وكان هذا ما يرجوه موسى لإبراز ما أعطاه الله من الآيات، واللجوء إلى ما يُثبِت الرسالة بالفعل لا بالقول والمحاورة، فالحوار مع من يرى كلّ الأمور من الله، أو من يرى ربوبيته على الناس بحكمه فيهم لا يجدي ولا يصل إلى نتيجة، فبادر إلى فرعون ليثبت رسالته بالفعل بإظهار ما أعطاه الله من الآيات:

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ [179]

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [180]

﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء لِلنَّاظِرِينَ﴾ [181]

---

[178] سورة الشعراء : 29
[179] سورة الشعراء : 30
[180] سورة الشعراء : 31
[181] سورة الشعراء : 32-33

وبياض اليد يدلّ على أنّ موسى كان آدم اللون كسكان المنطقة التي نشأ فيها. فما كان من فرعون إلا أن يتّهم موسى بالسحر حتى يظل على حُكمِه وسيطرته

﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾[182].

﴿قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[183]

خاطب فرعون الملأ من حوله كحاكِم لا يُفرّق بين النوبيين وبني إسرائيل حين قال لهم **﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم...﴾** والتفت إلى موسى:

﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى﴾[184]

يُلاحَظ أنّ فرعون قال هنا **﴿...لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا...﴾** تكلّم بلسان المجتمع كوحدة متماسكة وأنّ فرعون نفسه ما هو إلا واحد من هذا المجتمع لا تفريق فيه بين بني إسرائيل وغيرهم. ولم يلتفت موسى إلى تلك المراوغة. فلما

---

[182] سورة الشعراء : 34-35

[183] سورة الشعراء : 36-37

[184] سورة طه : 57-58

طلب فرعون موعداً للمناظرة كان ذلك ما يرجوه موسى عليه السلام؛ فلم يقل له الله سبحانه **﴿اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾**[185] إلا بعد أن أراه آية العصا وبياض اليد وقال له **﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاء مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾**[186]. فبادر موسى بقبول طلب المناظرة وضرب الموعد

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾[187]

لينفضّ المجلس للنظر في كيفية التعامل مع هذا الساحر في نظرهم. وقد ذكرنا ذلك بالتفصيل في كتابنا **"نبي من بلاد السودان"**[188].

---

185 سورة طه : 24

186 سورة النمل : 12

187 سورة طه : 59

188 كتاب **"نبي من بلاد السودان"** الصادر من المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام 2011، وأيضاً الطبعة 3 – مؤسسة أونيكس – بريطانيا - 2020

قارون المفتون بماله

كان قارون من قوم موسى وليس من قوم فرعون؛ لذلك لم يُعاقب معهم في الغرق، وقد أخذ علمه من التوراة، لأنّ فيها تفصيلاً لكلّ شيء، فأخلد إلى الدنيا، وأتقن علم الصنعة وملأ كنوزه من الذهب، وتعالى على من كان معهم قال تعالى ﴿**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ...**﴾[189] ولم يحسن إليهم، ولم يراع المحتاجين ومن يستحق أن يُنفق عليه من زكاة المال فنصحوه وقالوا له ﴿**...لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾[190] لكنه أنكرهم وتعالى عليهم بما جمع من كثير الذهب ولم يلتفت إلى نُصحِهم واحتقرهم ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي...**﴾[191] ﴿**فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ...**﴾[192]، لذلك كان عقابه الخسف ﴿**فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ**

---

189 سورة القصص : 76
190 سورة القصص : 76-77
191 سورة القصص : 78
192 سورة القصص : 79

الْأَرْضَ...﴾[193] لتعاليه على من كان معهم من قوم موسى. **فالتعالي على الناس عقابه الإذلال والدونية**.

ولا يُشترط أن يكون المتعالَى عليهم من المؤمنين، فموسى عليه السلام أُرسِل لإخراج بني إسرائيل من طغيان فرعون ليس لأنّهم كانوا مسلمين بل لأجل حريّتهم وأمنهم فقد آذوا رسولهم موسى نفسه حتى قال لهم **﴿...لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ...﴾**[194] وقالوا له **﴿...فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾**[195] فاحترام الإنسانية هو الذي بعث الله رسله لإرسائه لأنّ الإنسان مُكرم عند الله من حيث إنسانيته قال تعالى **﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ...﴾**[196]. فالشريعة التي يأت بها الرسول هي القانون الأفضل للتعامل به بين بني آدم المكرمين عند الله لأّن الله يريد الخير لعباده **﴿...إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾**[197] **﴿...يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ...﴾**[198] فيرسل رسله لعباده بالبلاغ بشرعه فإذا لم يقبل الناس البلاغ من الرسل فلا إكراه عليهم. أما إذا حاولوا الاعتداء عليهم لما جاءوا به فإنّ القدرة الإلهية تتدخل لعقابهم بطرق عديدة منها

---

[193] سورة القصص : 81
[194] سورة الصف : 5
[195] سورة المائدة : 24
[196] سورة الإسراء : 70
[197] سورة البقرة : 143
[198] سورة البقرة : 185

الخسف، والغرق، والريح العاتية، والرجفة، والصيحة، وغيرها.

جمع قارون من الثروة ما قال عنه سبحانه **﴿...وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ...﴾**[199] حتى قال فيه من كان معهم من قوم موسى **﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ...﴾**[200]. وهذه الكنوز التي جمعها قارون لم تكن من تجارة بل من عِلم، كما ذكرنا، أخذه من التوراة استطاع به أن يجمع هذه الكنوز من الذهب؛ وهو عِلم الإكسير، الذي يرفع المعادن الوضيعة إلى الذهب. لكن قارون لم يشكر الله سبحانه الذي يسّر له ذلك العِلم الخاص بل نسبه إلى نفسه. وكذلك فعل بلعام بن باعوراء الذي آتاه الله عِلم التصريف بالأسماء فأساء وما شكر الله واتّبع هواه وأساء إلى موسى فسُلِب العِلم قال تعالى **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا... * ...فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ...﴾**[201]

فالذي يعلم أنّ أصل كلّ المعادن هو الزئبق والكبريت، تصرّف فيها ورفع وضيعها إلى نفيسها بالنِسب والمقادير. قال قارون **﴿...إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي...﴾** وهذا العِلم الذي كان عند قارون وصنع منه هذه الثروة،

---

[199] سورة القصص : 76

[200] سورة القصص : 79

[201] سورة الأعراف : 175-176

ذكره الله في هذا القرآن العظيم، في جزء من آية. قال تعالى: **﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ...﴾**[202] أشار سبحانه وتعالى إلى صناعة عِلم الإكسير في قوله: **﴿...وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاء حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ...﴾** وشبّه سبحانه ما يجتمع عند الصناعة بزبد السيل، لعدم بقائه وتصاعده كبخار عند التقطير؛ فالسيل الناتج من تدفق المياه، يحمل زبداً لمروره على الأرض بقوة دافعة، ولا يبقى ذلك الزبد. والذي يجتمع في عمل الإكسير عند التقطير هو كالزبد تماماً، ولا يثبت إلا لمن يعلم كيفية تثبيته لأنّه يتبخر سريعاً **﴿...فَيَذْهَبُ جُفَاء...﴾**[203].

[202] سورة الرعد : 17

[203] سورة الرعد : 17

خروج بني إسرائيل

كان خروج بني إسرائيل من ديارهم وأرضهم من سلطان فرعون معجزة لموسى عليه السلام لأنّ تلك هي رسالته. فقد كان فرعون موسى من ملوك النوبة في مملكة كوش، وكانت مملكة كوش تمتد إلى دارفور وأسوان، لذلك فالذي لا يتحرّى الدقّة قد يختلط عليه الأمر حينما يتكلم عن بني إسرائيل الذين كانوا في شمال السودان وأسوان، فيحكم بأنّهم كانوا في مصر بحدودها الحالية، لأنّ أسوان الآن داخل الحدود المصرية. فمملكة كوش كانت تمتد إلى أسوان وجنوباً حتى خط العرض 10 ش، وشرقاً إلى الهضبة الأثيوبية، وهذا ما جعل بعض المؤرخين يقولون إنّ فرعون كان مصرياً رغم سواد بشرته، لأنّ أسوان أصبحت أخيراً داخل الحدود المصرية السياسية بعد ترسيم الحدود سنة 1899م. والكلام عن مصر قبل ذلك يعني شمال السودان لأنّ كلمة السودان هي وصف لأصحاب البِشرة السمراء الذين يسكنون جنوب أسوان ولم تكن إسماً لدولة بل تأتي في اللغة كجمع لكلمة أسود، وحين قال فرعون ﴿**...أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ...**﴾[204] فقد كان عرشه في نبتة. وكان بنو إسرائيل قد دخلوا مِصر من بادية كوش الممتدة من النيل

[204] سورة الزخرف : 51

إلى "جبل مرّة" خلال عهد يوسف عليه السلام وتكاثروا في مملكة كوش النوبية مستمسكين بأخلاقهم وسلوكهم، ولا يعني ذلك أنهم كانوا في دينهم على قلب رجل واحد، ففيهم الصالح والطالح لكنّهم كانوا متميزين عن قبائل النوبة، مقتدين بما كان عليه نبيهم يوسف عليه السلام، مما جعل الفرعون الذي كان في عهد موسى يخشى من وجودهم أو تمردهم عليه لقبول النوبيين أسلوب تعاملهم الطيب وسلوكهم القويم. فرأى فرعون أن يتخلّص من رجال بني إسرائيل، ليتم التزاوج بين رجال النوبة ونساء بني إسرائيل، ويكون المجتمع وحدة متماسكة، فأرسل الله سبحانه موسى ليُخرِج بني إسرائيل من طغيان فرعون حتى لا يُهلِك الرجال وينقطع نسلهم، فبدأ موسى دعوته بأنّه رسول الله واستجاب له عدد من الناس. وقد ظهر ذلك في قبائل النوبة، فيما ذكره الله سبحانه عن مؤمن آل فرعون، الذي استجاب لدعوة موسى عليه السلام بأنّه رسول الله، وصار يدعو أبناء جِلدته كذلك لتصديق موسى. قال تعالى في سورة غافر **﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾**[205] وهذا يدل على أنّ دعوة موسى عليه السلام قد وجدت قبولاً في بلاد النوبة، وصدّقه

[205] سورة غافر : 28

بعض القوم على أنّه رسول الله، وساقوا الدليل على ذلك بما كان من رسالة قبل رسالة موسى عليه السلام، فقال الذي آمن من قوم فرعون ﴿**وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ**﴾[206].

بما أنّ بعض الناس بدأوا يستجيبون لموسى ويصدِّقون بأنّه رسول الله فقد رأى فرعون الإسراع في التخلص منه ومن معه وقال ﴿**إِنَّ هَؤُلَاء لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ**﴾[207]. فسعى فساداً في الأرض، يقتل الأبناء من بني إسرائيل ويستحيي النساء، وجاء الوحي إلى موسى ﴿**فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ**﴾[208] ﴿**وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ**﴾[209]. فكانت رسالة موسى عليه السلام هي لإخراج بني إسرائيل من ديارهم التي كانت على ضفاف النيل في المناطق الزراعية، وهي الأرض المباركة، ولم يكن إخراج بني إسرائيل من تلك الأرض إلا حفاظاً على أرواحهم من طغيان الحُكم الفرعوني. وأغرق الله سبحانه آل فرعون وجنوده ونجّاه ببدنه فورث بنو إسرائيل من بعده

---

[206] سورة غافر : 34
[207] سورة الشعراء : 54-55
[208] سورة الدخان : 23
[209] سورة الدخان : 24

تلك الأرض المباركة ذات الجنّات والكنوز والنعيم والمقام الكريم. ذكرنا ذلك في كتابنا **"نبي من بلاد السودان"**[210].

ذكر بعض المؤرخين[211] أنّ بني إسرائيل كانوا في دلتا النيل وفي منطقة تسمى "سَكوت" ومن هناك عبر بهم موسى البحر الأحمر قاصداً أرض الميعاد في فلسطين. ولا أرى ذلك إلا تحريفاً وتزويراً للحقائق التاريخية، أو جهلاً بما كان عليه الأمر، لأنّه لو كان بنو إسرائيل الذين جاء موسى عليه السلام لإخراجهم من حُكم فرعون موجودين في دلتا نهر النيل لم تكن هناك حاجة لعبور البحر الأحمر، فما كانت هناك قناة السويس في ذلك الزمن أصلاً، وكان يمكنهم الذهاب إلى فلسطين دون معجزة فرق البحر. ثم إنّ عرش فرعون لم يكن في دلتا النيل. كما أنّ موسى عليه السلام قال لقومه بعد العبور **﴿...اهْبِطُواْ مِصْراً...﴾**[212] فلو كانوا في الدلتا بمصر فكيف يُخرجهم منها ثم يطلب منهم أن يهبطوا إليها.

قال تعالى **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ**

---

[210] كتاب **"نبي من بلاد السودان"** الصادر من المؤسسة العربية للدراسات والنشر عام 2011 والطبعة الثالثة – مؤسسة أونيكس – بريطانيا 2020

[211] The Antiquities of the Jews, Josephus, Flavius & Whiston, William (translator), Published by George Routledge & Sons Ltd, London, 1900

[212] سورة البقرة : 61

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[213] هذه هي أولى القبلتين. ولمّا جاء عهد سليمان عليه السلام بنى المسجد الأقصى وجعل الصلاة فيه في مكان بيوت موسى وهارون عليهما السلام. والإشارة في الآية إلى مصر تعني شمال السودان حيث بنى سليمان المسجد الأقصى. فخروج بني إسرائيل كان من حُكم فرعون في أرض النوبة والمسير إلى مصر أي شمال السودان في أسوان، وليس من مصر إلى فلسطين. ولو كان خروجهم من مصر إلى فلسطين كما يظن أغلب المؤرخين والمفسرين فلا داعي لذِكر البحر الأحمر. ولا أرى إقحامه هنا إلا تحريفاً قُصِد به إبعاد الأمر عن مكان العبور الحقيقي وهو نهر النيل جنوب الشلال الرابع في مملكة كوش. وكلمة بحر في القرآن تعني النهر أيضاً قال تعالى **﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ...﴾**[214] واستبعد كثير من الناس نهر النيل لوجود كلمة البحر.

أجمع أغلب الباحثين أنّ الكتاب المقدّس لم يذكر إطلاقاً "البحر الأحمر" في عبور بني إسرائيل، وبما أنّ النص مقدّس والفكر غير مقدّس فإنّ التراجم التي تمّت للكتاب المقدّس ليست مُلزِمة فقد تكون لفهم خاطئ أو بقصد التحريف.

---

[213] سورة يونس : 87

[214] سورة فاطر : 12

وقد جاء في النص العبري للكتاب المقدّس أنّ موسى عليه السلام فلق بعصاه بحر الحلفا وهو المذكور ب يم صوف (Yam suph) وقد ذُكِرت هكذا ثلاث وعشرين مرة في الكتاب المقدّس. وكلمة (suph) تعني نبات الحلفا.

أما الترجمة التي تمت للكتاب المقدّس من العبرانية إلى الإنجليزية فقد ترجمت كلمة يم صوف (Yam suph) والتي هي (Sea of Reeds) إلى كلمة البحر الأحمر (Red sea). وكلمة Reed تعني نبات الحلفا الذي هو في العبرية صوف (suph) وتُرجِمت كلمة Reed إلى Red. ومن الأماكن التي ورد فيها التحريف سِفر العدد 14 آية 25، سِفر التثنية 1 آية 40، سِفر يوشع 4 الآية 23، مزامير داود 106 الآية 7 وهو الذي ظل على أثره استمرار الخطأ في أنّ المقصود بالبحر هو البحر الأحمر الذي لم يذكره الكتاب المقدّس قط.

ويظهر سوء القصد عند المترجمين للكتاب المقدّس في ميلاد موسى عليه السلام سِفر الخروج 2 اية 3 أنّ أم موسى وضعته في التابوت وألقته بين نبات الحلفا على شاطئ النيل: among the Reeds along the bank of the Nile فلم يغيروا كلمة الحلفا Reed كما فعلوا في أمر العبور.

وكذلك ذكروا في سِفر الملوك 1 إصحاح 9 آية 26 أنّ سليمان عليه السلام بنى أسطولاً تجارياً من السفن على شاطئ بحر الحلفا (on the shore of the sea of Reeds).

تقع منطقة سكوت في جنوب أسوان في شمال السودان وموجودة حتى اليوم، وقد يكون سكنها وبقي فيها بعض بني إسرائيل الذين جاءوا في عهد يوسف عليه السلام الذي استقر في مصر شمال أسوان، ومنطقة سكوت هي التي اتخذها يعقوب عليه السلام حظائر لماشيته، ثم جاء إليهم بنو إسرائيل الذين عبر بهم موسى النهر وهبط بهم من الجنوب من مملكة كوش بعد أن أغرق الله آل فرعون ونجّى فرعون ببدنه. فإن وجود بني إسرائيل الكثيف في مصر جنوب وشمال أسوان وحتى الدلتا كان بعد أن أُخرِجوا من كوش في شمال السودان وجاءوا إليها. فبعد عبور نهر النيل قال لهم موسى عليه السلام ﴿**...اهْبِطُواْ مِصْراً...**﴾[215] وذلك يعني أنهم كانوا في صحراء بطن الحجر النوبية ولم يكونوا في أرض مصر الحالية ولم يخرجوا منها بل هبطوا إليها بعد أن خرجوا من طغيان فرعون. فلو كان موسى عبر بهم البحر الأحمر لكان خروجهم إلى أرض الحجاز وكان يقول لهم انزلوا الأردن بدلاً عن اهبطوا مصر، هذا عدا عن

[215] سورة البقرة : 61

العمق الهائل والعرض الشاسع للبحر الأحمر فمن المستحيل بقاء بني إسرائيل أحياء داخله حتى لو تمّ شقّه بمعجزة.

إنّ إقليم مصر يشمل جنوب أسوان إلى الدلتا. قال تعالى **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ...﴾**[216] فكيف يُقال إنّ موسى أخرجهم من مصر؟ وإلى يومنا هذا فإنّ سكان أسوان يطلقون على مدينة القاهرة "مصر" فالقِبلة الأولى التي كانت عليها الصلاة هي بيوت موسى وهارون شمال السودان في جنوب أسوان وليست بيت المكداش. ثم بنى سليمان عليه السلام المسجد الأقصى وجعل القِبلة فيه بدلاً عن بيوت موسى وهارون.

أما بنو إسرائيل الذين كانوا في حواضر نهر النيل فقد جاءوا من بادية كوش في عهد يوسف عليه السلام، وكانت لهم هذه الأمصار ملجأ في الزمن السابق في عهد يوسف عليه السلام ووجدوا فيها رغد العيش قياساً لحياة البدو حيث كانت تتميز بصعوبتها وهذا ما دعا يوسف إلى البقاء في مصر، والإتيان بأبيه يعقوب عليه السلام وأهلهم أجمعين. فلو كانت فلسطين كما زعموا هي الأرض المباركة لما آثر يوسف عليه السلام البقاء في مصر، وما

[216] سورة يونس : 87

كان ليأتي بأبيه يعقوب عليه السلام وأهله من البدو إلى مصر بل لكانت فلسطين هي المكان الأفضل بالنسبة لهم.

إنّ بني إسرائيل الذين طالبوا نبياً لهم ليعيّن لهم ملكاً ليقاتلوا في سبيل الله، هم من بقي من الذين أخرجهم موسى وأحفادهم من طغيان فرعون، وتركوا وراءهم ديارهم وأبناءهم في الأرض المباركة التي كانت تحت حُكم فرعون، فأخرج الله منها فرعون ليردهم إليها ويورثهم إياها. وأرادوا الرجوع إليها، فطالبوا بمن يقودهم إلى ذلك، ولم يكن موسى قد أخرجهم من فلسطين، إذ لم يكن فرعون مستقراً في فلسطين وإن وصل سلطانه إليها. ولم يصف الله سبحانه فلسطين بأنّها ذات جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة، والبادية التي جاءوا منها إلى مصر في عهد يوسف عليه السلام كان قد صعُب فيها العيش، لهذا وفدوا على يوسف عليه السلام ليتصدّق عليهم بما يعينهم على الحياة فيها، وما جاءوا منها إلا ببضاعة مزجاة.

فالذين أُرسِل إليهم موسى وأنقذهم من طغيان فرعون هم الذين كانوا في أرض النوبة ثم هبطوا منها شمالاً حيث بنوا بيوتهم واتخذوها قِبلة للصلاة. وبما أنّ نهر النيل يجري من الجنوب إلى الشمال فيسمّى الإتجاه نحو مصبّ النهر هبوطاً، وجغرافياً يقال حالياً النوبة العليا وهي ما يقع جنوب أسوان، والنوبة السفلى وهي ما بعد أسوان شمالاً. ومصر آنذاك تشمل إقليم جنوب أسوان فقال موسى لقومه

﴿...اهْبِطُواْ مِصْراً...﴾ من أرض النوبة، -وليس من فلسطين إلى مصر-. لقد حاول بنو إسرائيل إذية موسى وهمّوا أن يرجموه حينما دعاهم بعد عبورهم نهر النيل إلى دخول الأرض المقدسة، فما كانوا يريدون غير العودة إلى أرضهم التي أخرِجوا منها وفيها ديارهم وأبناؤهم. ولم يُقدِّروا ما فعله موسى عليه السلام لإخراجهم من سطوة فرعون، رغم ما رأوا من الآيات التي أُرسِل بها ومنها شقّ النهر بعصاه. كما لم يقدِّر الأعراب قبل ذلك الآيات التي أُرسِل بها محمّد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله ومنها انشقاق القمر، وآذوه حتى قال **"ما أوذي أحد ما أوذيت"**. وقال تعالى فيهم **﴿...وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ...﴾ ﴿...لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى...﴾**[217].

بعد أن عبر موسى عليه السلام النهر ببني إسرائيل كان خروجهم نحو الضفة اليمنى، وذلك لانحناء النهر، فوجدوا قوماً يعبدون آلهة، فطالبوا موسى بأن يجعل لهم إلهاً كما لهم قال تعالى **﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَآئِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُواْ يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هَـؤُلاء مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ * قَالَ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**[218]. وترك موسى أخاه هارون

---

[217] سورة الأحزاب : 69

[218] سورة الأعراف : 138-140

مع القوم ليلحقهم به وذهب لمناجاة ربه. وبعد أن تمّ الميقات **﴿...قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا...﴾** [219] فحصل تجلّ للجبل عند مناجاة موسى. وعند حدوث التجلي الأعظم لا يبقى سوى المتجلي فلا جبل ولا موسى ولا شيء غيره حتى يرتفع التجلي فتظهر الأشياء على ما كانت عليه ولا يعني اندكاك الجبل تحطمه، بل لا يكون الجبل جبلاً عند التجلّي ولا يبقى غير المتجلي سبحانه ولكن يعود الجبل جبلاً كما كان قبل التجلي بعد ارتفاع التجلّي.

رأى السامري رغبة القوم في اتخاذ إله لهم فاغتنم غياب موسى فأخرج لهم من حُلي القوم عِجلاً جسداً له خوار. حينما فرق موسى البحر وسار بقومه تردد فرعون في الدخول بين فرقتي البحر لاتّباع موسى فنزل جبريل عليه السلام أمام فرس فرعون فتبعه ودخل قومه خلفه ورأى السامري جبريل الذي كان يسير بين قوم موسى وفرعون فعرف قيمته بأنه روح لها تأثير في المادة، فأخذ قبضة من أثره وهي التي ألقاها على العِجل الذي صنعه من الحُلي، فدبت فيه الحياة فاتخذه بعض القوم إلهاً ظلوا عاكفين عليه، ولم يُعيروا هارون اهتماماً لنصائحه ومحاولة منعهم عبادة غير الله، وهموا بإيذائه وكادوا أن يقتلوه وظلوا على عِبادة

[219] سورة الأعراف : 143

العِجل حتى رجع إليهم موسى، قال تعالى ﴿**...فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾[220].

وإني لأعجب مما جاء في سِفر الخروج 32 أنّ نبي الله هارون عليه السلام هو الذي أخرج لهم العِجل ليعبدوه من دون الله. ولا يدلّ هذا إلا على أيد مغرضة في كتابة التوراه وتفسيرها. وقد حصل مثل ذلك لكلّ الأنبياء في كتبهم وآثارهم. وجاءت الرسل تترى لتصحيح ما يخرّبه أتباع الرسل من رسالاتهم رغم وحدة الرسالة عند جميع الرسل ﴿**...لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...**﴾. وعاد موسى إلى قومه غضبان أسفاً حينما وجدهم قد ضلّوا، وقام بحرق عجل السامري ونسفه في اليم أي نهر النيل، وليس في ماء أعطاه هارون لبني إسرائيل ليشربوه كما زعموا في سِفر الخروج 32 آية 20!! إنما ذلك كان من فِعل السامري إذ كان يعطيهم ماء يُخرجه لهم من العِجل ويسقيهم ليتبركوا به. قال تعالى ﴿**...وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ...**﴾[221] واختار موسى من قومه سبعين رجلاً للميقات عند الطور حيث كان له التكليم من الله سبحانه ولما جاء بهم قالوا لموسى ﴿**...لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً...**﴾[222]. كان ذلك قبل هبوطهم مصراً وهو واضح من قوله تعالى ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ**

---

[220] سورة طه : 85

[221] سورة البقرة : 93

[222] سورة البقرة : 55

وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ...﴾[223].
وضح من تصرفهم بداية عصيانهم لموسى فقد أحرق إلههم العِجل فقالوا له أرنا إلهك جهرة. فرفع الله جبل الطور، وهو البركل، فوقهم وأخذ منهم الميثاق برسالة موسى بعد أن ظنوا الجبل واقع عليهم.

سار بهم موسى عليه السلام تاركاً خلفه نهر النيل والجبل المبارك، ووجد القوم أنّهم في الصحراء بالقرب من "بطن الحجر" وبدأوا يطالبون موسى بالماء والغذاء.
﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[224].
ولقد ورد في سِفر الخروج إصحاح 17 الآيات من 1 إلى 7 **"أنّ بني إسرائيل بعد خروجهم اشتكوا قلة الماء واختلفوا مع موسى عليه السلام واحتدوا وطلبوا منه الماء وكانوا يحملون في أيديهم الحجارة وهددوه فنادى ربه: ربّ ماذا أفعل بهؤلاء الناس لقد كادوا يرجمونني، فأوحى إليه الرب أن اخرج ومعك من كبار القوم وخذ معك العصى**

---

[223] سورة البقرة : 93
[224] سورة الأعراف : 160

التي ضربت بها نهر النيل وسأكون معك على جبل حوريب فاضرب الصخرة وسينبع الماء سقيا لقومك، ففعل موسى ذلك على مرأى من بني إسرائيل وسمى موسى المكان (مساح ورباح)". ويلاحظ أنّ تراجم الكتاب المقدس تذكر أنّ جبل حوريب يقع بشبه جزيرة سيناء المصرية، وتجعل منه مكانا لثلاثة أحداث مهمة، مخاطبة الله عز وجل لموسى من الشجرة في طريق عودته من مدين، والميقات الذي خاطبه فيه الله وأعطاه الألواح بعد عبور بحر الحلفا، والمكان الذي ضربه موسى بعصاه فنبعت منه المياه قبيل دخولهم مصر. وقد أثبتت الأبحاث أنّ سيناء لايوجد فيها جبل بهذا الاسم[225]. وقد أوضحنا أنّ الخطاب من الشجرة كان بالواد المقدس المنحدر من جبل البركل، وأنّ الميقات كان على جبل البركل، أما نبع الماء فمحله بطن الحجر في صحراء النوبة الممتدة شرق نهر النيل إلى مصر. وهي التي أكثر فيها بنو إسرائيل الاحتجاج على موسى وطالبوه بالغذاء لأنّهم لم يألفوا حياة الصحراء فأنزل الله إليهم المنّ والسلوى ولم يرضوا بذلك وقالوا لن نصبر على طعام واحد وقالوا له **﴿...فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا...﴾**[226] قال **﴿...اهْبِطُواْ مِصْراً فَإِنَّ لَكُم مَّا**

---

[225] الدكتور كمال سليمان الصليبي، 1986: التوراة جاءت من الجزيرة العربية، ترجمة عفيف الرزاز, الطبعة الثانية بيروت، مؤسسة الابحاث العربية ش.م.م- ص 70.

[226] سورة البقرة : 61

سَأَلْتُمْ...﴾[227] وطلب منهم عند دخولها أن يسجدوا ويقولوا حِطة ليحطّ الله ذنوبهم لما ارتكبوا من عصيان ومخالفة في عِبادة العجل وفي طلبهم رؤية الله جهرة، ولكنّهم ما كانوا راضين عن موسى عليه السلام، لأنّه كان يريد لهم الذهاب إلى الأرض المقدسة التي ما كانوا يرغبون في الذهاب إليها ولا يريدون إلا الرجوع لديارهم التي أُخرِجوا منها **﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ...﴾**[228] ولعدم رضائهم عن موسى بدّل بعضهم كلمة "حِطة" وأنزل الله عليهم عِقاباً. فوجدوا في ذلك المصر جنوب الشلال الثاني ما طلبوا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، وهي بذلك تشابه أرضهم التي أُخرِجوا منها جنوب الشلال الرابع في مملكة كوش، لما فيها من زروع ومقام كريم. فاستمرأوا الحياة في أرض مصر، وتقاعسوا عن الذهاب مع موسى إلى الأرض المقدّسة، التي كانت وجهة موسى عليه السلام بعد أن أخرجهم من طغيان فرعون. ولكن بعد أن سكنوا مصر آثروا البقاء فيها ومرادهم الرجوع إلى أرضهم التي أُخرِجوا منها وقد كان وجودهم في مصر يُشعرهم بالذلة والمسكنة لأنها ليست أرضهم. **﴿...وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ...﴾**[229] وكان موسى يريد لهم أن يتجهوا من مصر إلى الأرض المقدسة التي كتب الله لهم

---

[227] سورة البقرة : 61
[228] سورة البقرة : 59
[229] سورة البقرة : 61

وهي التي تقع بعد الصحراء الممتدة إلى الغرب حتى جبل مرّة. فما كانت مصر هي المقصد الأساس الذي يريد موسى أخذهم إليه بعد عبور النهر ولكن كانت بمثابة تهدئتهم من شدة رغبتهم في الرجوع إلى أرضهم ذات الزروع. وكان يقول لهم ﴿**...وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾[230] فقد كان يريد لهم الأرض المقدّسة.

[230] سورة المائدة : 21

أين يقع المسجد الأقصى؟

أشرنا من قبل إلى أنّ فلسطين ليست هي الأرض المباركة المقصودة في القرآن الكريم أو "أرض الميعاد" كما يظنها اليهود اليوم، كما أنّ المسجد الأقصى أيضاً ليس هو ما يُسمى "بيت المقدس" المشار إليه في فلسطين حالياً، بل هو المكان الذي جعل الله البركة حوله. قال تعالى **﴿...الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ...﴾**[231] فكلمة "مقدِس" لا تعني مقدّس، وكلمة بيت لا تعني مسجد، و"بيت المقدِس" لا يعني "المسجد المقدّس"، إنما يعني "بيت المِكداش". ولكن في مراحل تاريخية لاحقة أطلِق على "بيت المكداش" تحريفاً اسم بيت المقدِس. وواضح أنّ كلمة "مقدِس" لا معنى لها ولا وجود لها في اللغة. ومعلوم أنّ المسجد الذي يطلق عليه الأقصى حالياً في مدينة القدس بناه الخليفة الأموي عبد الملِك بن مروان بعد ما يُقارِب المائة سنة من بِعثة محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله وأراد للناس أن يحجّوا إليه بديلاً عن الكعبة التي بناها عبد الله بن الزبير بعد تدميره لها. إذ لو كان هناك المسجد الأقصى المقصود في القرآن لصلّى فيه الخليفة عمر بن الخطاب حين دخل فلسطين، وقد وصلنا من المرويات ما

[231] سورة الإسراء : 1

يفيد أنّ عمر قد خشي أن يصلّي في الكنيسة التي كانت في ذلك المكان حين أشار إليه كعب الأحبار بذلك فقال له: "يا ابن اليهودية"، وقام بالصلاة خارجها حتى لا يتّخذها الناس بعده سنّة .

أما رواية ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية باب فتح بيت المقدس على يدي عمر بن الخطاب حيث ذكر **"ثمّ دخلها إذ دخل المسجد من الباب الذي دخل منه رسول الله ليلة أُسري به ويقال إنّه لبى فصلى فيه تحية المسجد بمحراب داود"**. فهذه من المرويات الكاذبة. فمن الذي كان شاهداً دخول النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله من الباب الذي دخل منه في تلك الليلة ثم رأى بعد ربع قرن من الزمان عمر يدخل من ذلك الباب وهو يُلبّي! هذا لو كان هناك مسجد لداود عليه السلام هناك. فالحقيقة هي أنّ المسجد الأقصى بناه النبي سليمان عليه السلام في أرض كوش ولم يبنه داود عليه السلام. ولا علاقة لفلسطين به. فقد كانت في مملكة كوش منطقة خالية من الأشجار والحشائش والتلال يدعوها النوبيون لذلك بكة، كان آدم عليه السلام قد بنى فيها بيتاً للعبادة والصلوات وكان إذا لم يُسعفه الوقت للصلاة فيه اتجه نحوه وصلى فصار قِبلة له ولشيث عليه

السلام من بعده وهو أول بيت وضِع للناس[232]. ولما دمّر الله سبحانه الدنيا بطوفان نوح عليه السلام تهدّم ذلك البيت. ولما بُعِث إبراهيم عليه السلام قام بإعادة بناء ذلك البيت بمساعدة إبنه إسماعيل عليه السلام **﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾** [233] ولم يبن له مسجداً جديداً غيره. ولما بعث الله موسى وهارون كان الطوفان قد غيّر معالم الأرض وصعّب على الناس قِبلة إبراهيم عليه السلام، فأمر الله سبحانه موسى وهارون أن يجعلا بيوتهما قِبلة، ولما بُعِث سليمان عليه السلام جعل تلك البيوت مسجداً وذلك هو المسجد الأقصى الذي أصبح قِبلة للناس. وكان النبي محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بعد بنائه المسجد الحرام يصلّي نحو قِبلة إبراهيم عليه السلام وأحياناً نحو قِبلة موسى وهارون (المسجد الأقصى) فأنزل الله سبحانه **﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ**

---

[232] ورد في قاموس فوكنر (ص 85) (R. O. Faulkner: A Concise Dictionary of Middle Egyptian, Griffith Institute, 1962) وكتاب "أخبار مكة للأزرقي ص 280" (أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقي: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، مكتبة الأسدي، 2004) أنه كان على تخوم مصر القديمة إقليم اسمه "بكة" وبجانبه علامة تفسيرية، علامة لبيت.

[233] سورة البقرة : 127

الْحَرَامِ...﴾[234] وقال تعالى **﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾**[235].

قال تعالى **﴿...نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِي الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾**[236]. فوادي طوى الذي في البقعة المباركة هو المقدّس الذي ذكره الله سبحانه وتجلّى فيه لموسى بالخطاب من الشجرة حين تكليفه بالرسالة **﴿...إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾**[237]. أما الأرض المقدسة التي كان موسى عليه السلام يريد أن يأخذ بني إسرائيل إليها بعد أن سكنوا مصر، فقد رفضوا الذهاب إليها معه ولم يدخلوها. وقالوا له "اذهب أنت وربك فقاتلا" وهي التي كان يسكنها الكنعانيون عند جبل مرّة. وأما الأرض المباركة التي ذكرها الله سبحانه فهي حول المسجد الأقصى. والأماكن التي ذكرها الله بالبركة هي ما كان فيها النداء الإلهي لموسى عليه السلام، ومنها ما كان بجانب الطور وشاطئ الوادي الأيمن، وكذلك الأرض التي أورثها الله بني إسرائيل بعد أن أغرق آل فرعون **﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا...﴾**[238] فهذه كلها أرض

---

[234] سورة البقرة : 144
[235] سورة آل عمران : 96
[236] سورة القصص : 30
[237] سورة طه : 12
[238] سورة الأعراف : 137

مباركة. وشملت البركة القرى التي قامت فيها قال تعالى **﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً...﴾**[239] هذه هي الأماكن التي ذكرها الله بأنها مباركة وفيها وادي طوى المقدّس.

جبل الطور وموقعه:

قال تعالى **﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا...﴾**[240] فالنداء الإلهي كان لموسى بجانب الطور، والطور في اللغة النوبية القديمة من المفردات التي دخلت في اللغة العربية لاحقاً ومعناها الجبل. وكلمة سيناء معناها البركة كما ذكر ابن كثير في تفسيره. فالطور هو الجبل وطور سيناء هو الجبل المبارك في البقعة المباركة. وعليه فإننا نرى أنه لا يكون ذلك الجبل الذي حصل النداء بجانبه غير جبل البركل الذي رفعه الله فوق بني إسرائيل كأنه ظُلة فبجانبه واد وأشجار، وليس محاطاً بالجبال كما هو الحال في صحراء سيناء المصرية، حيث لا يوجد هناك وديان ولا شواطئ ولا زروع لتوصف بالبركة.

---

[239] سورة سبأ : 18

[240] سورة القصص : 46

وبما أنّ الأرض المباركة هي التي ذكرها الله بأن أخرج منها فرعون وأورثها بني إسرائيل، وبما أنّ عرش فرعون لم يكن في فلسطين فذلك يعني أنّ الأرض المباركة عند نهر النيل حيث كان مُلك فرعون. وقد يكون الوادي المنحدِر من الطور أي الجبل المبارك هو الوادي المقدّس، لأنّه يوجد في الأرض المباركة. وجبل حوريب الذي ذُكِر في الإصحاح 3 آية 1 هو جبل البركة أي البركل، فلا أبرك من جبل نادى الله فيه موسى من جانبه الأيمن **﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ...﴾**[241]. وجبل البركل كان يصِفه المصريون والكوشيون بأنّه مقر الإله آمون رع وبذلك اكتسب صِفة الجبل المقدّس أي جبل البركة أو الجبل المبارك، حيث يقال فيه **"آمون رع حُريب وعب جو"** ومعناها "الإله آمون رع المقيم في الجبل المقدّس" فاكتسب الجبل تقديسه عندهم من إقامة الإله آمون فيه كما يظنون. فأقرب ما يكون أنّ جبل البركل هو الطور. قال تعالى **﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ...﴾**[242] وقال تعالى **﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ...﴾**[243]. وهذه الآيات لا تدع مجالاً للشك بأنّ جبل البركل هو الطور.

---

[241] سورة مريم : 52

[242] سورة النساء : 154

[243] سورة الأعراف : 171

يبدو واضحاً من هذا أنّ الطور هو الجبل، وهو الذي حصل فيه التجلي وهو الذي رفعه الله فوق بني إسرائيل، وهو الذي نادى الله موسى من جانبه، فهو طور مبارك وسُمِّي بجبل البركل، ولعظمته أقسم الله به قال تعالى **﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾**[244] لعلاقته بموسى والألواح وكتاب موسى عليه السلام. وجاء في إحدى القراءات في القرآن العظيم **﴿...فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْرِ الْعَظِيمِ﴾**[245] وقيل إنها قراءة شاذّة.

أرض السودان:

إنّ الذي أراه أنّ المقصود بالأرض المباركة في مملكة كوش هي أرض السودان التي أخرج الله سبحانه منها فرعون، وأسكن فيها أنبياءه داود وسليمان وزكريا وإلياس واليسع. وكانت مقراً لنبيّ الله إدريس عليه السلام من قبل، وهو أخنوخ الذي حذّر قومه من الطوفان، وكتب ذلك على الأهرام كي تُحفظ رسالته لمن يأتون من بعده. فالأهرامات التي بالجيزة هي التي بُنيت في عهد إدريس عليه السلام وبُنيت بهذه الضخامة خوفاً من الطوفان حيث استخدم الهرامسة أسرار التصريف الروحاني في إنشائها كما فعل

---

[244] سورة الطور : 1-2

[245] سورة الشعراء : 63

آصف بن برخيا في إحضار عرش بلقيس لسليمان عليه السلام. وهو عِلم من الكتاب لا يأتيه الباطل في التعامل به لمن يعرفه وليس سِحراً. وهذا يشير إلى أنّ الطوفان بدأ من هذه الأرض التي قام نوح عليه السلام يدعو سكانها ألف سنة وما آمن معه إلا قليل، فحملهم على سفينته ورست على جبل الجودي وهو الجبل الدائم المطر كما يشير اسمه إلى ذلك ويوضح ذلك حديث الاستسقاء الذي جاء فيه **"ولم يأت أحد من ناحية إلا حدث بالجود"**[246] فعلى الأرجح أنها رست على جبل مرّة حيث الأمطار والمياه الدائمة أي الجود. وكوش هو ابن حام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام. ويدلّ على رسو سفينة نوح على جبل مرة قيام حفيده كوش بإقامة مملكة كوش في أرض السودان مهد الحضارة الإنسانية فلم يكن وجود للإنسان ولا الحيوان في الأرض بعد الطوفان إلا في مملكة كوش. فإنّ اسم كوش لم يُطلق على المنطقة إلا في عصر الدولة الوسطى حيث ذُكِر في نص بوهين الموجود حالياً في متحف فلورانس في العام الثامن عشر من حُكم المِلك سنوسرت الأول 1971-1928 ق.م[247]. ولا يزال اسم كوش يوجد في السودان في دارفور عند النوبيين للأبناء الذكور وكوشية للإناث. والملاحظ أنه لا يوجد قطر توجد فيه أسماء الأنبياء

---

[246] البخاري

[247] Adams, William Y. 1977, Nubia: Corridor to Africa, Allen Lane, London.

كما توجد في السودان كآدم وإدريس ونوح وإبراهيم وصالح وأيوب وموسى وداود وسليمان ويعقوب وهارون ويونس وزكريا واسحق وشعيب ويوسف بل هناك بعض الأسماء لهؤلاء الأنبياء يندر أن تجدها في بعض الأقطار العربية ولا عند الأعراب الذين بدأت الرسالة المحمدية عندهم مما يدلّ على الإرث الديني المتجذّر لهؤلاء الأنبياء في المنطقة.

فالبركة التي في أرض السودان هي التي حفظت السودانيين من العبودية حينما أخذ المستعمرون الأوروبيّون والأمريكيون أبناء أفريقيا لتسخيرهم للعمل كرقيق في مزارعهم، فلم يسلطهم الله على أرض السودان ليسترقّوا منها أحداً. وقد جاء في مزمور داود وفي سِفر أشعياء18 أنّ أشعياء زار مملكة كوش لمدة ثلاث سنوات كان يتجول فيها حافي القدمين بشيراً ونذيراً لحدث عظيم يكون في هذه البلاد، ولولا البركة في هذه الأرض لما طاف فيها نبي من أنبياء بني إسرائيل حافي القدمين كلّ هذه المدّة. فهي الأرض التي خُمِّرت منها طينة آدم عليه السلام. وقد ذكر ثيودور الصقلي في كتابه "مكتبة التاريخ" هذه البركة وحمايتها للكوشيين من الغزاة عبر التاريخ "وبسبب تقواهم وصلاحهم لم يتمكن الغزاة من استعمارهم واسترقاقهم فتمتعوا بالحرية والأمن. وعلى سبيل المثال نذكر القائد الفارسي قمبيز الذي غزا كوش بجيش جرار ولكنه هُزِم شرّ هزيمة وأصابته في نفسه محنة قاسية. كذلك المِلِكة الآشورية "سمير أميس" التي

اشتهرت بسطوتها وتوسيع مُلكها فقد حاولت غزو مملكة كوش ولكن بعد تقدُمها قليلاً في أرضهم تراجعت وتخلت عن حملتها لما واجهته من الصِعاب"[248].

[248] Diodorus of Sicily. “The Library of History” with English translation by C. H. Oldfather et. Al. Published in Volume 2of the LEOB Classical Library Edition. 1935. Pp. 92-93.

الجنّة في الأرض

خلق الله آدم عليه السلام وجعله خليفة له في الأرض، لهذا فإن الجنّة في عهده لم تكن في السماء إنّما في أرض السودان مهد الحضارة الإنسانية، فمن طينتها خُلِق. فماذا يمنع من قبول القول إنّ الجنة كانت هناك ثم رفعها الله. وذلك الرفع ليس رفعاً مكانياً بل هو رفع بالتبديل من بُعد إلى بُعد يختلِف عنه، فالله سبحانه حينما رفع عيسى عليه السلام إليه لم يكن رفعاً مكانياً، تعالى الله عن المكان، إنما هو رفع فوق البُعد الثلاثي الذي نحن فيه. ويعجز من هو في البُعد الثالث بإحاطة ما فوقه من الأبعاد. فالجنة ربما كانت في البُعد الرابع أو أكثر، ورفعها يعني هبوط من كان فيها إلى البُعد الثالث. وهذا البُعد هو الذي يختص بهيمنة الزمن عليه وفيه تظهر الموجودات بالطول والعرض والارتفاع على هذه الأرض، فالذي له طول وعرض وليس له ارتفاع فلا سُمك له، فلا يكون من الموجودات التي يمكن انتقالها. أما البُعد الرابع فهو فوق إدراك من هو في البُعد الثالث، وهو الذي توجد فيه المخلوقات التي لا يقيدها الزمن ولا السُمك أو الشكل كالملائكة والجن، وقد تكون الملائكة في بُعدٍ أكثر من الرابع ويخلق الله ما يشاء ويزيد في الخلق ما يشاء.

ولا ينعدم الإنسان بعد الموت بل ينتقل إلى بُعد آخر ليس للزمن عليه حُكم قال تعالى ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ**

الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ...﴾[249] وهذا يعني أنّ مرور الزمن عليهم بعد موتهم لا إحساس به لخروجهم من البُعد الثالث. وقد بيّن الله سبحانه هذا الأمر للناس في أصحاب الكهف فقد توفاهم الله "في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً" وهو ما يقرب من الثلاثين سنة يُعلم ذلك من كلمة سنين لأنها تمييز لمحذوف وهو إما شهراً سنين أو أسبوعاً سنين والأقرب شهراً سنين فيكون مكثهم خمس وعشرين سنة وتسعة أشهر ولذلك تعرّف عليهم أحفادهم. وسمّى الله سبحانه النوم بالوفاة قال تعالى **﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ...﴾**[250]. فالإنسان بعد الوفاة لا إحساس له بالزمن. وقد يحصل الموت بعد الوفاة. ولا يجزم بالتحديد الزمني لأهل الكهف لقوله تعالى **﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا...﴾**[251]. ومعلوم أنّ المجرم أكثر إحساساً بالزمن من غيره إذا كان محبوساً. لذلك فإنّ الحِساب والسؤال والعِقاب يكون في الآخرة في يوم الحشر وليس في القبر. فالإنسان من يوم موته إلى يوم القيامة لا إحساس له بالزمن. فإن كان هناك عذاب في القبر فهو لأولئك الذين يدفنون ولم يكن قد تمّ موتهم. فعندما يفيق أحدهم ويجد نفسه داخل القبر يظل في عذاب حتى يموت. وقد يكون عذاب القبر كذلك لأولئك الذين يعتقدون بوجوده لأنّ الله سبحانه عند ظن عبده به **﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنْ الْخَاسِرِينَ﴾**[252]. وقال صلى الله وبارك عليه وعلى والديه

---

[249] سورة الروم : 55
[250] سورة الأنعام : 60
[251] سورة الكهف : 26
[252] سورة فصلت : 23

وآله **"لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسِن الظن بالله"** فلو كان عذاب القبر محتوم على كل من يموت فإنّ الذي يموت قبل قيام الساعة بيوم فإنّ عذابه ليس كعذاب من مات قبل مئات أو الآف السنين، ولا يستقيم ذلك مع العدل الإلهي.

البُعد الثالث ليس هو المختص بالمعرفة والتعامل بل هو فقط للوجود المرئي المحسوس، الذي يمكن انتقاله أو تحريكه بأي وسيلة كالرياح مثلاً، والإنسان في البُعد الثالث يحمل في وجوده هذه الروح ذات الخاصية المدركة التي تحركّه وتميّزه عن بقية الموجودات، وهي مقيدة وسجينة في جسده المادي. فإذا خرجت منه هذه الروح بالوفاة أو الموت انطلقت من سجن البُعد الثالث وخرجت عن إطار الزمن الأرضي ودخلت في البعد الأعلى الذي يناسب نورانيتها، وأصبح الجسد بدونها جثة هامدة مثل بقية الموجودات الأرضية. وبالنسبة لمن يعيش على الأرض فإنه يكون محكوماً بقوانين البعد الثلاثي وتبدو له الأبعاد الأخرى الأعلى في حُكم ما لا عين رأت ولا أذن سمِعت ولا خطر على قلب بشر لأنه لم يختبرها وغير قادر على معرفتها. قال تعالى **﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ...﴾**[253] لأنها دار اختبار وإعداد وليست داراً للخلود.

فالمعلوم أنّ الجنة ذات الخلود هي في هذه الأرض المنبسطة كما قال تعالى بعد أن يُجري الله عليها التبديل قال تعالى **﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ...﴾**[254] وقال تعالى

---

[253] سورة الأنعام : 32

[254] سورة إبراهيم : 48

﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ...﴾[255] وقال تعالى **﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ...﴾**[256] وقال تعالى **﴿...وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾**[257] ولكن ظلها دائم. فالجنّة في هذه الأرض وليست في السماء كما يتوهم من لم يتدبّر القرآن الذي يظن هبوط آدم من الجنة هو إلقاؤه من السماء ليسقط على الأرض!! فالذين شقوا محكوم عليهم بالخلود في النار في هذه الأرض **﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ...﴾**[258] والذين سعِدوا كذلك في الجنة في هذه الأرض **﴿...خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾**[259] فإذا كانت الجنّة في البُعد الرابع أو الخامس أو أكثر فلا يحيط بها العقل البشري الحالي لعدم التقييد فيها بالشكل والزمن والمسافة، ويكون عرضها السماوات والأرض. والجنة في اللغة البستان أو الحديقة فهي بالتالي الأرض التي فيها الرمان والأعناب والزيتون وشتى أنواع الفاكهة وتحفها أشجار النخيل، وهذا تعريف الجنة. أما الجنة التي في الآخرة فإن فيها أيضاً شتّى أنواع الفاكهة وغيرها مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لأنّها فوق البُعد الثلاثي الذي نعيش فيه الآن. أما الجنان التي في هذا البُعد الثلاثي الذي نحن فيه فيوجد منها الكثير الذي يملكه أفراد من الناس

---

[255] سورة الزمر : 69
[256] سورة الزمر : 74
[257] سورة مريم : 62
[258] سورة هود : 107
[259] سورة هود : 108

قال تعالى ﴿**وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ...**﴾[260]. وكانت في سبأ في مملكة مروي جنتان كما قال تعالى ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**﴾[261] وقال تعالى ﴿**...وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ**﴾[262]. وتعريف الجنّة يمكن أن ينطبق بجدارة على "جبل مرّة" إذ تتوفر فيه كل الصفات التي توصف بها الجنة أو البستان. فالذي يعيش هناك يقال إنّه يعيش في جنّة قال تعالى ﴿**وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ...**﴾[263] فالجنّة في الدنيا موجودة في البُعد الثلاثي هذا، أما الجنّة التي في الآخرة ففيها الخلود وفيها تبديل إلى بُعد آخر وهو الذي ذكرنا أنه يكون فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. ولذلك جاء في القرآن ﴿**...عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ...**﴾[264] وتارة ﴿**...عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ...**﴾[265] وذلك للتبديل.

والذي أراه أنّ الجنة التي أهبط الله منها آدم لم تكن في السماء بل في هذه الأرض لكنها فوق البُعد الثلاثي. وكان آدم يعيش فيها مكرماً بسعادة وسلام. وبعد المعصية أهبط الله آدم من البُعد الذي كان مستمتعاً فيه بالجنة إلى البُعد

---

[260] سورة الكهف : 32
[261] سورة سبأ : 15
[262] سورة سبأ : 16
[263] سورة الكهف : 35
[264] سورة آل عمران : 133
[265] سورة الحديد : 21

الثالث المحكوم بالزمن. لهذا فهبوط آدم كان هبوط منزلة وليس هبوطاً من مكان في السماء إلى الأرض. وبدّل الله سبحانه الجنة من بُعدها الذي فوق البُعد الثالث ليعيش عليها آدم جنة دنيوية في هذا البُعد الثلاثي الذي نعيشه. فلا يمنع أن تكون الجنة التي أُهبِط منها آدم في أرض دارفور وعلى جبل مرّة، حيث كانت كما أشرت في بُعد آخر غير هذا البُعد الثلاثي الذي نعيش فيه، وقد ترفع إلى البعد الرابع ويطرأ عليها التبديل يوم القيامة وذلك "يوم تبدّل الأرض غير الأرض". ويلاحظ في جبل مرّة، الذي لا يوجد مكان في الأرض يماثله من حيث جمال الطبيعة وما فيه من المياه وأنواع الفاكهة والأشجار المثمرة والخُضرة الدائمة والمناخ المعتدِل طوال العام عدم وجود الحيوانات المفترسة والهوام القاتلة، وهو أمر لا تخلو منه ما يماثله من المحميات الطبيعية وما ذلك إلا دلالة لعظمة هذا المكان وإشارة لمن يتدبّر. وقد تكون الطينة التي خلق الله منها آدم من هذه الأرض فكان آدم اللون.

قيل إنّ من أنكر شيئاً حُرِم بركته، وذلك يعني رفضك لمعلومة لم تكن تدور في خلدك هو التحجير على نفسك من زيادة العِلم. فكل معلومة تصل إليك ولو كانت تبدو لك ظاهرياً مدعاة للضحك فإن عليك التوقف عندها والتدبُّر فيها قبل رفضها حتى لا تكون كالذين ضحكوا على رسول الله موسى عليه السلام قال تعالى **﴿فَلَمَّا جَاءهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾**[266]. فالعاقل لا يرفض معلومة إلا إذا كان يملك دليلاً ينقضها. ومن لم يوطِّن نفسه على ذلك

[266] سورة الزخرف : 47

سيجد نفسه يوماً رافضاً لقدرة الله وتصريفه في الكون، ولن يزداد عِلماً قط لأنّ العِلم يأتي من الغيب الذي لم يُكتشف. إذ الغيب هو مخزن العِلم فإذا أُكتشِف منه شيئ صار ذلك الشيء من المعلومات. فإذا حصر الإنسان نفسه فيما تمّ اكتشافه حرم نفسه من زيادة العِلم وانحصر عِلمه في المعلوم أي المعلومات المتوفرة، ويجد إيمانه بالعِلم التجريبي أقوى من إيمانه بالله والغيبيات، وكذلك تصديقه لما يقوله علماء الفيزياء والتقنية الحديثة في ثبات الشمس، ودوران الأرض وكرويتها، وكذبة هبوطهم على القمر، أكبر من تصديقه لما ورد في القرآن والكتب المقدّسة وما جاءت به الرسل الكرام من عِلم الله سبحانه.

فالله الذي يُخرِج الحي من الميّت، ويشقّ القمر ويرزق الدودة في الحجر ويُحيي العظام وهي رميم، ويجعل قلب المؤمن يسع الله سبحانه **"ما وسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب المؤمن"**[267] لا يعجزه أن يجعل الجنّة التي أسكن فيها آدم في "جبل مرّة" في بُعد آخر غير هذا الذي نعيشه، ثم أهبَط آدم إلى هذا البُعد الثلاثي، ثمّ من أعلى الجبل إلى الأرض، فيكون الهبوط معنوياً وحسياً كما أشرنا، وما يجحد بآيات الله إلا الظالمون **﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاء فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ * لَقَالُواْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾**[268]. إنّ الله سبحانه رفع عيسى إليه وتعالى الله عن المكان، فإذاً لا يكون ذلك الرفع إلى السماء وإلا لكان رفعاً مكانياً. فهو رفع معنوي إلى بُعد يقصر العقل

---

[267] إحياء علوم الدين للغزالي

[268] سورة الحجر : 14-15

الموجود في البُعد الثالث عن الإحاطة به، فالرفع والهبوط لا يشترط فيه المكان. فإن كنت متبِعاً لهواك فلا تقبل من قُدرة الله إلا ما تحب أن تقبله وتستحسنه. ولو قال لك أحد إنّ الله جعل في جوف أحد عِباده ثلاثة قلوب ستسارع بالرفض لأنّ عقلك لا يقبله ولأنك قرأت في قوله تعالى **﴿مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...﴾** وذلك مبلغ عِلمك وما انتهى إليه فهمك لعدم التدبُّر في القرآن العظيم، الذي فيه تبيان لكل شيء وما فرّط في شيء. فالآية تخص الرجال وليس النساء، أما المرأة الحبلى بتوأم مثلاً فإنها تحمل ثلاث قلوب في جوفها. فالذي ينقصه التدبُّر في كتاب الله هو الذي ينقصه العِلم لامتلائه بالموروث وجعل العِصمة لمن سطروه، وكذلك بما يصدره أصحاب العِلم الحديث من الإبداع البشري وإيمانه بالمسلّمات دون خالق المسلّمات.

إنّ الله سبحانه لم يذكر الجبال كجزء من الأرض بل لها كينونتها الخاصة بها يقول تعالى **﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾**[269] وقال تعالى **﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ...﴾**[270] **﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ...﴾**[271] **﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً...﴾**[272] **﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ...﴾**[273] **﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ**

---

[269] سورة الغاشية : 17-20
[270] سورة الأنبياء : 31
[271] سورة الحجر : 19
[272] سورة الكهف : 47
[273] سورة النمل : 88

وَالْجِبَالُ...﴾[274] **﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا * وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾** 275 **﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾**[276] **﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾**[277] فإذا كانت هناك جنّة في جبل فهي ليست في الأرض لأنّ الجبل ليس جزءاً من الأرض. فالذي ينزل منها فإنه يهبط إلى الأرض من الجبل وليس هبوطه من السماء. والجنينة هي جنة صغيرة. فإذا كان هناك من يسكن جبل مرة وهو -حسب تعريف الجنة- أحد هذه الجنان لما فيه من كل الثمرات وعيون الماء وكل ما توصف به الجنة كما وصفها الله في القرآن العظيم، ثم أمرت السلطات بإخلاء السكان منه، تكون قد أمرتهم بالهبوط من الجنة إلى الأرض. ولو كان الهبوط من بُعد أعلى إلى البُعد الثالث فهو الهبوط من الجنة العليا ذات الخلود.

الأرض المقدّسة:

لم يقل الله سبحانه إنّه خاطب موسى في بيت المِكداش، ولم يقل إنّ أرض فلسطين هي الأرض المقدّسة، فالقداسة التي نؤمن بها هي فيما ذكره الله سبحانه في القرآن العظيم، منها وادي طوى في البقعة المباركة، والأرض

---

[274] سورة المزمل : 14
[275] سورة الواقعة : 4-5
[276] سورة التكوير : 3
[277] سورة الحاقة : 14

المقدّسة هي التي عرّفها الله سبحانه في محكم تنزيله التي كان موسى يريد لقومه دخولها فعصوه وحرّمها الله عليهم. لا يؤثر فينا قول مفسِّر أو مؤرخ إذ لا قداسة لرأيه وبحثه، فالحقّ سبحانه قال لموسى عليه السلام ﴿**...إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى**﴾[278] فالوادي الذي خاطب الله فيه موسى عليه السلام هو المقدّس في الأرض المباركة. أما الأرض المقدّسة التي كانت مقصد موسى عليه السلام لقومه فهي التي كان يسكن حولها الكنعانيون أحفاد كنعان وهو أخو كوش بن حام الذين وصفهم بنو إسرائيل بالقوم الجبارين. وموطنهم الأصلي قبل هجراتهم خارج إفريقيا، كان عند جبل مرّة [279] حيث رست سفينة نوح وانتشر أبناؤه حام وسام ويافث في المناطق التي حوله. ويرجح العالم دياكونوف المتخصّص في أصول اللغات (الساموـحامية) أو (الحامو- سامية) التي ينطق بها أبناء حام من الكنعانيين والكوشيين، أنّ منشأها كان في المنطقة التي تقع حالياً بين دارفور وشمال تشاد[280]. وقد أراد موسى أن لا يركن قومه إلى السكن في مصر التي ضُربت عليهم فيها الذلة والمسكنة

---

[278] سورة طه : 12

[279] Lipinski Edward (2001), Semitic Languages: Outline of a Comparative Grammar, Peeters Publishers

[280] See: Zygmunt Frajzyngier (2018), Afroasiatic Languages. Oxford online resources: http://oxfordre.com/linguistics/abstract/10.1093/acrefore/9780199384655.001.0001/acrefore-9780199384655-e-15

وأراد لهم الخروج إلى الأرض المقدسة التي تقع إلى الغرب بعد الصحراء عند جبل مرة. قال لهم موسى **﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ...﴾**[281] وكان يحثّهم على عدم الرجوع إلى ديارهم في مملكة كوش التي أُخرِجوا منها **﴿...وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾**[282] ويرغّبهم في الدخول إلى الأرض المقدسة، غير أنّهم لم يكونوا راغبين في دخولها، لأنّه كان عليهم أن يسيروا عبر الصحراء، وفيهم الحنين إلى ديارهم التي أُخرِجوا منها، وعبّروا عن رغبتهم في عدم دخول الأرض المقدسة، ولم تُجد محاولته لهم على دخولها. **﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾**[283] وكانوا يريدون الرجوع إلى ديارهم التي أُخرِجوا منها في حوض النيل حيث الجنّات والعيون والزروع والمقام الكريم، ومستعدّين للقتال من أجل ذلك، وفضّلوا الأرض المباركة على الأرض المقدّسة.

كان الكنعانيون يسكنون حول جبل مرّة في الأرض المقدّسة وهم الذين رأى قوم موسى عدم الدخول معهم في حرب إذ كانوا يرون أنّ دخولهم أرض الكنعانيين يعني الحرب ولا طاقة لهم بهم. وأرسل موسى اثني عشر نفراً

---

[281] سورة المائدة : 21
[282] سورة المائدة : 21
[283] سورة المائدة : 22

من بني إسرائيل لاستطلاع الأمر في ديار الكنعانيين، وكان بينهم يوشع وغالب، وحينما عادوا سألهم القوم عن الذي رأوه، فقال عشرة منهم إنّ القوم عمالقة ولا طاقة لكم بهم، وديارهم وحصونهم تبلغ عنان السماء، وما أنتم معهم إلا كالجراد، أما الإثنان يوشع وغالب فقالا إنّ الله معنا وكما أخرجنا من طغيان فرعون ومن مصر فلن يخذلنا بعد إذ أمرنا بالدخول إلى الأرض المقدسة ﴿**قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[284]. ورفض القوم طاعة موسى، وهمّوا بإيذائه. ونجد أنّ التحريف الذي ينسب الأمر إلى أرض فلسطين كان بسبب وجود بعض الكنعانيين الذين هاجروا من كوش إلى فلسطين. ونسبت التراجم للكتاب المقدّس أنّ وجود الكنعانيين الذين كانوا حول جبل مرّة إلى الكنعانيين الذين هاجروا إلى فلسطين.

يئس موسى من قومه لما وجد من إذيتهم له ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾[285] ووصفهم الله بالفاسقين قال تعالى

---

[284] سورة المائدة : 23

[285] سورة الصف : 5

﴿...وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ...﴾[286] قال موسى ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ * وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ﴾[287] وهذا موجه من موسى إلى قومه بني إسرائيل وليس موجه لآل فرعون رغم أنّ الآيتين وردتا ضمن خطاب موسى لآل فرعون. فلا يُعقل أن يطلب موسى من آل فرعون أن يعتزلوه لأنه مرسل لمنازعتهم كما أنه مستهدف من قِبلِهم. ولابد من تدبُّر القرآن الذي أمر الله به وترتيله، والترتيل كما أشرنا من قبل هو معرفة موضِع الآيات.

ظهر جلياً للنبيّ موسى عصيان قومه وإمكان إذيته رغم أنّهم يعلمون أنّه رسول الله إليهم وفرق لهم البحر من قبل. فالتجأ حينئذ إلى ربّه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[288] ويتّضح من هذه الآية أنّ موسى عليه السلام طلب من ربّه إنهاء رسالته، فقد أداها تماماً وقام بإخراج قومه من طغيان فرعون، وأراد لهم دخول الأرض المقدسة، لكنّهم آثروا الرجوع إلى سابق أرضهم، وعصوا رسولهم؛ فكان هذا الطلب منه بعد أن سمع سوء قولهم ﴿...فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا...﴾ فاستجاب الله له ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ...﴾[289]

---

[286] سورة غافر : 5
[287] سورة الدخان : 20-21
[288] سورة المائدة : 25
[289] سورة المائدة : 26

وعاقبهم سبحانه ﴿...**أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ...**﴾[290] فالعقاب كان هو التحريم عليهم دخول الأرض المقدّسة وأن يتيهوا في الأرض.

إنّ عصيان بني إسرائيل لموسى ورفضهم الذهاب إلى الأرض المقدسة كان سبب عِقابهم بأرض التيه، ويبدو أنّهم بعد ما خرجوا مع موسى نحو الأرض المقدسة، وواجهتهم الصحراء بدأ عصيانهم له، ورفضوا الذهاب معه فقد واجهوا قبل ذلك صحراء بطن الحجر ورزقهم الله فيها المنّ والسلوى، وفجّر لهم الحجر لسقياهم فما الذي سيواجهونه في هذه الصحراء الكبرى؟ وقد كان عِقابهم أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة. وسمّي ذلك المكان الذي تمّ فيه العِقاب بدرب الأربعين إلى يومنا هذا، وهو الذي يقع اليوم في الصحراء الممتدة من غرب النيل إلى جبل مرّة. وجاء هذا الإسم لنسبته إلى الأربعين سنة التي كان فيها التيه لبني إسرائيل هناك. وذُكِر أنّ درب الأربعين يوجد منذ الأسرة السادسة في ما يُسمى بالدولة المصرية القديمة. واختلفت فيه الروايات، ومعنى ذلك أنه مُكتَشف ومستعمل قبل اتخاذه في عهد سلطنة دارفور. وقيل إنّه كان يربط أسيوط بالفاشر، وكان يمر بوادي المِلِك ووادي هور. وقد حصل تغيير على طبيعة الأرض فقد كان وادي هور الحالي نهراً يجري من جبل مرّة إلى نهر النيل. وقد زعموا أنّ

[290] سورة المائدة : 26

الربّ قال لموسى **"إنك ستموت على رأس هذا الجبل وسيأخذ جسدك قومك كما أخذوا جسد هارون من قبل بعد أن مات على جبل حور وذلك لأنكما نقضتما إيمانكما بي أمام بني إسرائيل ولذلك لن تدخلا الأرض التي وهبتها لبني إسرائيل"**[291] وواضح من هذا فُحش القول وتحريفهم للتوراة إذ يتهمون موسى وهارون عليهما السلام بنقض الإيمان، وأنّ الله سبحانه حرمهما من الأرض المقدسة وجعلها لبني إسرائيل من دونهما، وذلك ليتمّ التحريف ويقولوا إنّ الأرض المقدسة هي فلسطين التي سكنها بنو إسرائيل بوعد بلفور، وأنّ الله حرّم فلسطين على موسى وهارون وقالوا إنها هي الأرض المقدّسة التي وهبها الله لبني إسرائيل بينما لا علاقة لفلسطين بالأمر كله. وواضح من هذا الذي ذكروه أنه لا علاقة له بما أنزل الله في كتاب موسى وأنّه من صنعهم وتفسيرهم لينفوا الإيمان عن رسول الله موسى ويثبتونه لأنفسهم ويقولون زوراً إنّ الأرض المقدسة هي فلسطين. وكذلك فعل قوم محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله من قبل تحريفاً وتغييراً لفهم ما أنزل الله إذ قالوا إنّ الله أنزل في كتابه تقريعاً لمحمد لسلوكه المخالف للخُلق العظيم ووضّح الله ذلك لقومه مبيناً لهم فيما أنزل من القرآن ذلك السلوك غير اللائق فقال لهم

---

[291] سِفر الخروج : إصحاح 17

﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَن جَاءهُ الْأَعْمَى**﴾[292]. وأرض التيه في الواقع هي التي تقع غرب النيل في منطقة كردفان وتمتد إلى جبل مرّة عند الأرض المقدّسة التي رحل إليها موسى عليه السلام، وقال سبحانه لموسى ﴿**...فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ**﴾[293]. ﴿**سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ**﴾[294]. وبعد دخول موسى الأرض المقدّسة لم يكن ليغادرها، والذي أراه أنّ مرقده الذي جهله بنو إسرائيل إلى يومنا هذا لا يكون إلا هناك.

[292] سورة عبس : 1-2
[293] سورة المائدة : 26
[294] سورة الصافات : 120

صامويل: "نبيّ من بعد موسى"

قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ...**﴾[295] ولم يبين لنا أحد تفصيلاً رسالات الرسل الذين جاءوا من بعد موسى عليه السلام إلا شيئاً من رسالة عيسى عليه السلام، كأنّه لم يأت رسل غيره من بعده. وبما أنّ الآية ذُكِرت في القرآن العظيم، فإنّ الرسل الذين أشار إليهم كانوا قبل بِعثة محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله؛ فمن هم وما هي رسالاتهم وأين كانت؟

ألا يجدر بالمؤمن البحث عن أولئك الرسل، وكيف كان أداؤهم لرسالاتهم مع قومهم والمكان الذي باشروا فيه ما أُرسِلوا به؟!. إذ لا يتم إيمان المرء إلا إذا آمن بالرسل الكرام وكتبهم التي أُرسِلوا بها.

يقول سبحانه في القرآن العظيم ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا**

[295] سورة البقرة : 87

مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[296].

يُعلم من هذه الآية أنّ الأنبياء لم يبعثوا للقتال في سبيل الله، بل عليهم البلاغ إن أُرسِلوا وليس القتال، لقوله تعالى **﴿...فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ الْبَلاغُ...﴾**[297] **﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾**[298] فطالب الملأ من بني إسرائيل من أحد أنبيائهم الذين جاؤوا من بعد موسى عليه السلام ليعيّن لهم ملكاً ليقاتلوا في سبيل الله، وليس لإكراه الناس على الدين فالأنبياء والرسل لا تُقاتِل إلا دِفاعاً وصدّاً لعدوان أو حماية لحق.

إنّ الأرض التي أراد بنو إسرائيل تعيين مِلك لهم ليقاتلوا من أجلها قطعاً ليست هي أرض فلسطين، لأنّ موسى لم يُخرِجهم من فلسطين بل من حُكم فرعون في مملكة كوش، وهم يريدون الرجوع إلى ديارهم وأبنائهم وممتلكاتهم هناك. وقد رفضوا الذهاب إلى الأرض المقدسة غير أنّ موسى وأخاه هارون ظلّا يقصدانها. ويبدو أنّ ذلك هو السبب في عدم معرفة مرقد موسى عليه السلام إلى اليوم، فقد عصاه قومه ورجعوا عنه رافضين الدخول إلى الأرض المقدسة، وبالتالي لا يدري أحد تحديداً أين يوجد

---

[296] سورة البقرة : 246
[297] سورة النحل : 35
[298] سورة الأنعام : 48

موقع ضريحه الكريم في الأرض المقدسة لأنّه لا يوجد تعيين دقيق لحدودها عند جبل مرّة.

أراد بنو إسرائيل من بعد موسى وهلاك آل فرعون، أن يعودوا إلى ديارهم والأرض التي أُخرِج منها أسلافهم في زمن فرعون، وكان موسى عليه السلام يحثّهم على الصبر وأنّ العاقبة للمتقين أيام كانوا يُقتَلون في عهد الحُكم الفرعوني حيث ﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُواْ إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[299] وكان قد ضاق بهم الحال آنذاك حتى أساءوا الأدب مع نبيهم ﴿**قَالُواْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا...**﴾[300] فقال لهم ﴿**...عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾[301] علّهم إذا ورثوا الأرض من بعد فرعون أن يُصلِحوها. وقد عزم بنو إسرائيل على الرجوع إلى ديارهم وأرضهم التي أُخرج منها أسلافهم وأرادوا أن يكون لهم قائد ﴿**...إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا...**﴾. ولم يبيّن ذلك النبيّ من بعد موسى العلماء ولا الفقهاء ولا المفسّرون، ولا الذين

---

[299] سورة الأعراف : 128
[300] سورة الأعراف : 129
[301] سورة الأعراف : 129

يفتون بقاعدة "ما يعلم من الدين بالضرورة" ولم تهتم به هيئة العلماء سوى الذي قال إنّه هارون عليه السلام، لكنّي لا أرى ذلك. فهذا النبي ﴿**...مِن بَعْدِ مُوسَى...**﴾ ليس رسولاً، لأنّ تكليف موسى بالرسالة ينتهي باتمام أدائها، وكذلك تنتهي معه رسالة أخيه هارون، لأنّه لم يكن رسولاً منفصلاً بنفسه، إنّما كان شريكاً لتنفيذ الرسالة مع موسى لإخراج بني إسرائيل من طغيان فرعون، ولقد تمّ ذلك وأغرق الله آل فرعون. وقيل إنّ هارون مات قبل موسى عليه السلام. فالنبيّ الذي طلب منه بنو إسرائيل تعيين مِلِك لهم إذن غير هارون عليه السلام، يؤيد ذلك ما قاله ذلك النبي للقوم حين طلبوا منه تعيين مِلِك لهم، فأخبرهم بأنّ الله قد بعث لهم طالوت مِلِكاً، وأنّ آية مُلكِه مجيء الملائكة تحمِل التابوت وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون وهذا يدل على أنّ موسى وهارون لم يكونا موجودين. فلو كان ذلك النبيّ هو هارون وعيّن طالوت ليكون مِلِكاً لكان داود عليه السلام معاصراً لموسى وهارون لأنّه كان في جيش طالوت. لذلك فإنّ النبي الذي طالبه بنو إسرائيل لتعيين مِلِك لهم، هو ذلك الذي ذكره أهل الكتاب وهو النبيّ صامويل، وكان ذلك في عهد القس الياس الذي عاش ما بين 1100 إلى 1012 قبل الميلاد حسب تاريخ الكتاب المقدّس. وهو الذي كان مستمسكاً بدين موسى عليه السلام. واهتمّ ذلك القس بأمر صامويل عليه السلام حينما جيء به إليه صغيراً، وصحِب

صامويل عليه السلام القس إلياس المستمسِك بدين موسى عليه السلام، وقد رأى القس إلياس شارات النبوة في صامويل بعد أن سلّمته أمه له ليهتمّ بتربيته.

إنّ التواريخ التي ذُكِرت بين رسالات الأنبياء بها الكثير من الشك الذي يدعو إلى عدم الجزم بصحّتها وتوخي الحذر في مقارنتها بتواريخ الحضارات القديمة التي تعاني من الشكوك نفسها، وفي ذلك نشير إلى ما ذهب إليه شارلي بونيه الباحث في أصول الحضارة النوبية في بعض محاضراته أنّ حضارة كوش هي أصل الحضارة الإنسانية ولذلك فهي أقدم من الحضارة المصرية. ويعضد ذلك ما ذكره في كتابه **"الفراعنة النوبيون ملوك النيل السود"** أنّ آثار إنسان ما قبل التاريخ في منطقة كرمة شمال السودان تعود إلى ثمانمائة ألف سنة قبل الميلاد وقد صارت معالم الحضارة النوبية في المنطقة متميزة وأكثر وضوحاً منذ أكثر من سبعة الآف وخمسمائة سنة قبل الميلاد. وليس القصد من هذا تفضيل قطر على الآخر بل الحقّ هو القصد لأن هذه الجغرافيا السياسية القطرية اليوم هي وليدة أقل من قرن ولم تكن كذلك من قبل لذلك فقد تكون الإشارة إلى مصر آنذاك مقصود بها شمال السودان. فإنّ كلمة السودان يُقصد بها النوبيون الذين يسكنون جنوب أسوان فهي صفة للسكان وليس إسماً لبلد آنذاك.

بعد رحيل موسى بفترة أضاع بنو إسرئيل تعاليمه فقام القسّ إلياس بتذكيرهم بما كان عليه أسلافهم من الدّين الحقّ الذي جاء به موسى. وأثار ذلك فيهم زيادة الصحوة والحنين إلى الأرض المباركة التي أُخرِج منها أجدادهم من سطوة فرعون بعبورهم نهر النيل مع موسى عليه السلام.

كان النبي صامويل قد لازم القس إلياس واهتمّ بإحياء ما جاء به موسى عليه السلام وهو الذي طالبه بنو إسرائيل أن يعيّن لهم ملِكاً ليردهم إلى ديار أجدادهم التي أُخرِجوا منها زمن موسى عليه السلام، وحينما طلب أولئك الملأ منه أن يبعث لهم ملِكاً ليقاتِلوا من أجل الرجوع إلى ديارهم التي أُخرِجوا منها، كانوا على عِلم أنّه لن يرجع معهم كما فعل موسى من قبل وطلب منهم حينها قائلاً ﴿**...وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ**﴾[302] لأنه كان يريد لهم دخول الأرض المقدسة وتقاعسوا ورفضوا الدخول إليها. فقال لهم صامويل عليه السلام ﴿**...هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ...**﴾[303] لأنّه يعلم ما كان من رفضهم القتال للدخول إلى الأرض المقدسة مع موسى عليه السلام وعصيانهم له من قبل لكنهم بيّنوا لصامويل أنّ لديهم دافعاً للقتال هنا من أجل أرضهم وديارهم التي أُخرِجوا منها بغير حق ﴿**...قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن**

---

[302] سورة المائدة : 21

[303] سورة البقرة : 246

دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا...﴾[304]. وقد كان حرصهم على الرجوع إلى ديارهم قد قادهم من قبل إلى عصيان موسى عليه السلام ومحاولة إيذائه ورفضهم الذِهاب إلى الأرض المقدّسة.

ما كان لصامويل عليه السلام أن يذهب مع بني إسرائيل إلى الأرض التي أُخرِجوا منها، بل عيّن لهم طالوت ليردّهم إليها فلم تكن إلا حرباً لردّ الحقّ في الأرض والديار. فالدين يُنشر بالبلاغ وليس بالحروب. فكانت الحاجة إلى ملِك وليس لنبيّ أو رسول. فلم يكن صامويل عليه السلام ليرجع معهم؛ فعيّن لهم من يُرجِعهم إلى أرضهم **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوَاْ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾**[305] ولم يقبلوا بما قال لهم نبيهم صامويل في تعيينه الملِك الذي طالبوه بتعيينه، ونازعوه في ذلك، وطالبوه بالبينة على اصطفاء طالوت من بينهم **﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ...﴾**[306] فجاءت الملائكة على هيئة أبقار تحمل التابوت الذي فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون،

---

[304] سورة البقرة : 246
[305] سورة البقرة : 247
[306] سورة البقرة : 248

فسلّم بعضهم بتلك الآية وأنكر بعضهم ممن كان يريد أن يرى الملائكة بالشكل الذي يحدده هو من المخلوقات ذوات الأجنحة وإلى غير ذلك من الصور التي يتخيلها. وظل ذلك التابوت متوارثاً لدى الملوك من بعد طالوت فكان عند داود ثم عند ابنه سليمان عليهما السلام.

الملك طالوت

قام الملك طالوت بتجهيز جيشه من بني إسرائيل، وكان من بين جنوده داود عليه السلام، وساروا نحو ديارهم التي أُخرِجوا منها شرق نهر النيل من مملكة كوش، وكان قد عبر موسى النهر بأسلافهم قبل ذلك إلى الناحية الغربية قبيل الشلال الرابع عند جبل البركل وتركوا أرضهم المباركة وديارهم خلفهم للنجاة من فرعون.

بعد هلاك آل فرعون وجنوده ونجاة فرعون ببدنه عمّت الفوضى في بلاد النوبة في مملكة كوش لفقد السلطة الحاكِمة قال تعالى ﴿**...وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ**﴾[307] وتعاقب على المُلك من بعده حكام ممن كانوا حوله من غير آله الذين هلكوا غرقاً، واتجهت إمرأة فرعون ومن معها نحو الجنوب حيث نشأت مملكة مروي بعيداً عما كان مقراً لحُكم فرعون الذي تعاقب عليه عدد من الحُكام كان آخرهم جالوت. وكان على طالوت أن يسير بجيشه لقتال جالوت ليعيد بني إسرائيل إلى ديارهم وأرضهم التي كان أسلافهم قد خرجوا منها لطغيان فرعون.

[307] سورة الأعراف : 137

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[308].

ذلك النهر الذي عبره طالوت بجنوده هو نهر النيل وفي المكان الذي حصلت فيه معجزة انفلاق النهر لموسى لغرق آل فرعون وجنوده ونجاة فرعون ببدنه. إنّ مما يؤكد أنّ عبور موسى ببني إسرائيل كان من نهر النيل ما جاء في سِفر الخروج، إصحاح 17 **"فأوحى إليه الرب أن اخرج ومعك من كبار القوم وخذ معك العصى التي ضربت بها نهر النيل..."**، فعبر بهم طالوت وأراد أن يذكِّرهم بما كان في عهد موسى عليه السلام، بأنّ هذا النهر هو الذي غرق فيه آل فرعون، وهو الذي نسف فيه موسى عِجل السامري بعد حرقه، وقد كان السامري يسقيهم منه بعد أن اتخذوه إلهاً فأمرهم طالوت ألا يشربوا منه لكي تقوى عزائمهم وثقتهم بالله. لكن كثيراً من بني إسرائيل الذين رجعوا مع الملِك طالوت وهم **﴿...الَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ...﴾** لم يتبعوا أوامره وشرب أكثرهم من النهر- وهو ما قاله لهم صامويل من قبل وهو **﴿...هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ...﴾**

[308] سورة البقرة : 249

فالذين آمنوا معه هم الذين ﴿**...قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ...**﴾ ولكن الذين استجابوا لطالوت ولم يشربوا من النهر هم ﴿**...الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ...**﴾ وهم الذين قالوا ﴿**...كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾. ﴿**وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاء...**﴾[309]. قال تعالى في عودة بني إسرائيل إلى أرضهم حول نهر النيل بعد هلاك آل فرعون وإخراجهم منها ﴿**كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[310] وقال تعالى ﴿**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ**﴾[311] إشارة إلى استضعاف بني إسرائيل أيام حُكم الطاغية فرعون.

رجع مع الملِك طالوت الملأ من بني إسرائيل أحفاد الذين أُخرجوا مع موسى من ديارهم التي كانت على حوض النيل في أرض النوبة، تحت حُكم فرعون في مملكة كوش، وهي الأرض المباركة التي أخرج الله منها فرعون وجنوده، وأورثها بني إسرائيل قال تعالى ﴿**فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي**

---

[309] سورة البقرة : 250-251

[310] سورة الشعراء : 59

[311] سورة القصص : 5

إِسْرَائِيلَ﴾[312] فالله سبحانه يبين أنه أخرج آل فرعون من نعمة ومقام كريم وجنات وعيون وكنوز وأورث ذلك بني إسرائيل. فهل هناك أوضح من قول الله تبارك وتعالى في أنّ بني إسرائيل ورثوا الأرض المباركة التي كان عليها فرعون بحُكمه؟ **﴿وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ اللّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾**[313] وعاد بنو إسرائيل إلى ديارهم غرب النهر وشرقيه، كذلك قال تعالى **﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ﴾**[314].

ثبت من هذا أنّ بني إسرائيل عادوا إلى ديارهم، التي كان فرعون قد استضعفهم فيها وقتل منهم ما استطاع، فورثوا الأرض ذات المقام الكريم، وهي ما كان يحكمها فرعون أي الأرض الممتدة من أسوان إلى الهضبة الأثيوبية. وكان موسى عليه السلام يريد لهم دخول الأرض المقدّسة التي لم يستطع أحد قبل هذا أن يعيّن مكانها ويبيّن حدودها كما أشرنا من قبل، وهي التي تقع خلف صحراء التيه الممتدة إلى جبل مرّة ودونها الكنعانيون الذين سكنوا

---

[312] سورة الشعراء : 57-59
[313] سورة يونس : 95
[314] سورة الأعراف : 137

حول جبل مرّة. واستقر موسى عليه السلام في الأرض المقدسة بعد أن طلب من ربه أن يفرق بينه وبين القوم الفاسقين.

داود عليه السلام

أصبح داود عليه السلام بعد موت المِلك طالوت نبيّاً ومِلكاً ورسولاً على النوبيين وعلى القوم الذين جاءوا معه من بني إسرائيل، أحفاد الذين استُضعِفوا زمن فرعون، قال تعالى **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾**[315] وهم الرسل الذين تعاقبوا على حُكم مملكة كوش بعد هلاك آل فرعون فشملت دولة داود من كان معه من بني إسرائيل، ومن أصبح تحت ملكِه في أرض كوش النوبية الواسعة التي كانت تحت سلطة الحكم الفرعوني إلى عهد جالوت والتي تمتد من أسوان وشمال السودان إلى خط العرض 10 ش، وإلى الهضبة الأثيوبية شرقاً، وغرباً إلى دارفور.

معلوم أنّ رسل الله لم يكونوا أصحاب سلطان ولا ملوكاً على قومهم إلا داود وسليمان عليهما السلام، ولم يقاتلوا لأجل الرسالة ولا لفرض الدين على الناس، وما كان داود وسليمان عليهما السلام ملوكاً إلا للظروف التي اضطرتهم لإدارة دولة النوبة، التي أصبح فيها فراغ في السلطة بعد أن دمّر الله ما كان يصنع فرعون وجنوده في مملكة كوش وما كانوا يعرشون، فهما رسولان مِلكان لإدارة

[315] سورة الأنبياء : 105

دولة النوبة العظمى، والحفاظ على كلّ الرعية التي كان بنو إسرائيل يمثلون الفئة التي استحسن النوبة سلوكهم وتعاملهم فيها منذ عهد يوسف عليه السلام. فكانت رسالة داود وسليمان عليهما السلام إظهاراً لتأييد الله لرسله، بانقياد الكائنات لهم من جبال وطير، وما على الأرض من معادن ومخلوقات، وطاعة الريح والأكوان، وذلك لبسط العدل بين الناس في ظل مُلكهم في الأرض. وكانت رسالتهما كما ذكرنا لإدارة الدولة وإعمارها وبسط سلطان الله فيها بالعدل، وليست لإكراه الناس على الدخول في الدين لأنّه لا إكراه في الدين، ولم يُرسِل الله رسلاً لإكراه الناس على دينه ولو كانوا ملوكاً فمُلك داود وسليمان لا علاقة له بالرسالة. فالأمر يتعلق بإدارة الدولة في الأرض التي عاد إليها بنو إسرائيل التي وصفها الله بأنها مباركة. قال تعالى **﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ...﴾** [316] فالرسالة هي لحرية الإنسان وأمنه في نفسه وماله لا للتحجير على فِكره ومعتقده، فكان مُلك داود وسليمان عليهما السلام هو لإقامة العدل بين الناس بما جاء في التوراة لا لفرض الدين عليهم، وانتشر اليهود النوبيون الذين آمنوا بموسى على امتداد وادي النيل وأعالي الهضبة الإثيوبية، وهم الذين يُعرفون اليوم باليهود الفلاشا، فهم يهود ينتمون إلى قبائل النوبة لكنهم ليسوا من بني إسرائيل. وكان

[316] سورة الحديد : 25

معهم من بني إسرائيل أولئك الذين عادوا مع المِلك طالوت. ولا يُستبعد أن يكون قد جرى بينهم تزاوج. فليس كلّ اليهود من بني إسرائيل.

كانت الدولة الكوشية شاسعة أيام المُلك الفرعوني وتمتد شمالاً إلى أسوان وشرقاً إلى الهضبة الأثيوبية وغرباً إلى دارفور وهي المملكة التي أعاد جالوت سلطانه عليها، وبعد قتله أصبح لا بدّ لها من مِلك يدبّرها، فكان داود عليه السلام مِلكاً ورسولاً بعد موت المِلك طالوت، وآتاه الله الحِكمة وعلّمه مما يشاء. قال تعالى **﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...﴾**[317] فكانت رسالة داود عليه السلام هي أن يكون مِلكاً حاكِماً بالشريعة لإدارة الدولة بالعدل، لا إكراه الناس أو إجبارهم على دينه. والرسل لا يعرفون الإكراه لسموّ أخلاقهم، انظر قول شعيب لقومه حينما قالوا له **﴿...لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾**[318]. فالإكراه ليس في شريعتهم.

قال تعالى **﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا**

---

[317] سورة ص : 26

[318] سورة الأعراف : 88

تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاء الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنْ الْخُلَطَاء لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ * يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ...﴾[319].

يتّضح من الآية أنّ الذين دخلوا على داود عليه السلام لم يدخلوا بالطريقة العادية مما يدل على أنهم يختلفون عن الذين اعتاد على مقابلتهم من الناس، وكانوا عدداً بينهم خصمان كما هو واضح من سياق الآية. أما وجودهم بتلك الهيئة المخالفة، ودخولهم بالطريقة غير المعتادة في مكان عبادته، فقد أحدث إنزعاجاً في نفس داود عليه السلام ففزع منهم، فقالوا له لا تخف. والذي يقول للمِلك لا تخف لا يقل مكانة عن المِلك ويوضح ذلك قولهما له ﴿**...وَلَا تُشْطِطْ...**﴾ وهي كلمة لا تصدر إلا من طالب ذي مكانة. ثم طرحا القضية أمامه وهي أنّ صاحب التسع والتسعين نعجة سأل أخاه صاحب النعجة الواحدة ضمها إلى نعاجه. وأصدر داود حُكمه بأنّ ذلك السؤال ظُلم من صاحب التسع وتسعين نعجة،

---

[319] سورة ص : 21-26

وواضح أنّ الأمر كله لم يتعد كونه سؤالاً، ولم يُذكر أنه قد تم إجراء على ذلك السؤال. وكان حُكم داود عليه السلام بأنّ ظلماً وقع على المطلوب منه لمجرد السؤال من السائل، وليس على فِعل صدر من السائل **﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ...﴾**. فأصدر حُكمه على السائل بالظلم لمجرد السؤال.

إنّ دخول الخصمين على داود بالطريقة غير المعهودة بتسوّرهم المحراب، وأسلوبهم في عرض القضية وقولهم له "لا تشطط" قد أدخل في نفس داود شيئاً من الفزع ولذلك استجاب لطلبهم، وحكم على ما عرضوه عليه من الدعوى، فأصدر حكمه بالظلم على السائل لمجرد السؤال. وبعد إصدار الحُكم اتضح لداود أنّ حكمه بالظلم على الخصم لم يكن على فعل صدر منه بل لمجرد سؤاله، وهل يجوز الحُكم بالظلم على إنسان لمجرد السؤال؟ وقد قال الله تعالى له **﴿...فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...﴾**[320] هنا أحس داود أنه قد يكون أخطأ في إصداره حُكماً لمجرد سؤال **﴿...وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾**[321].

جاء في ما عند أهل الكتاب وفي بعض من يقولون بتفسير القرآن من الذين آمنوا، أنّ داود عليه السلام وقعت

---

[320] سورة ص : 26

[321] سورة ص : 24

عيناه على زوجة أحد جنوده وهي تستحم فرغب فيها واشتهاها فما كان منه إلا أن أرسل زوجها إلى الحرب ليتمّ زواجه منها بعد أن تصير أرملة. وتمّ له ذلك. وكان لداود تسع وتسعون زوجة وتم بها الزوجة المائة. وفي بعض الروايات طلب منه أن يتنازل له عنها. وفي رواية أحمد قال احملني عليها![322]. لقد أساء كثير من المفسرين والمترجمين للكتب المقدّسة إلى أنفسهم بما نسبوه لرسل الله الذين هم قمم الأخلاق ومنارات الهدى.

أمنية الرسل والشيطان:

قال تعالى **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ...﴾**[323] في هذه الآية مدح عظيم للنبي محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله حيث توضح أنّ كل الرسل والأنبياء السابقين لمحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كان الشيطان يُلقي في أمنياتهم إذا تمنّوا ثم ينسخ الله ما يُلقي الشيطان ويُحكِم آياته، لكن ليس للشيطان سبيل إلى محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. ولقد افتروا كذباً سيسألهم الله عنه إذ نسبوا إليه أنّ معه قريناً لكن

---

[322] الطبري

[323] سورة الحج : 52

الله أعانه عليه فأسلم[324]. كبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً قال تعالى ﴿**...وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاء قِرِينًا**﴾[325] أهكذا كان رسول الله؟ وقالوا إنّ الشيطان كاد أن يقطع عليه صلاته حتى أمسكه وأراد أن يربطه بسارية المسجد[326]، وقالوا إنّ الشيطان نطق على لسانه وهو واقف يصلي بين يدي الله[327] فهل يقول بهذا مسلم يؤمن أنّ محمداً رسول الله؟ بينما يقولون ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجّه!! فمن الأفضل عند من يقول بذلك؟

فالرسل عليهم السلام معصومون. لذلك فالأمر التوجيهي لهم يتعلّق بإصلاح الأمنية، إذ يستحيل عليهم فعل أمر يخالف الأخلاق والشرع. فإذا تدخّل الشيطان في أمنية أحدهم فإنّ الله يصرف عنه ما ألقى الشيطان في أمنيته ويُحكِم آياته. فإن كانت لداود تسع وتسعون زوجة كما ذُكِر وأراد إتمام المائة، فالأمر لم يتعد أنه كان في مرحلة الأمنية عند داود عليه السلام، وتم علاجه بدخول الذين تسوروا المحراب، وعرضهم الموضوع الذي كان في مرحلة الأمنية عند داود إلى مرحلة تبيينه بالقول وليس بالفعل. فالأمر يكون أولاً في الأمنية، ثم مرحلة القول، ثم مرحلة الفعل.

---

324 مسلم

325 سورة النساء : 38

326 مسلم

327 تفسير ابن كثير

فما كان في مرحلة الأمنية عند داود عليه السلام تم علاجه بالقول بمجيء الملائكة (وحاشا رسل الله أن يقعوا في مخالفة للأخلاق) وكيف نقبل قول من لا عصمة لهم من المفسرين وغيرهم بالتطاول والانتقاص فيمن مدحه الله وقال فيه ﴿**وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ**﴾[328] وقال لأعظم رسله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ﴿**اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**﴾[329]. وما أهلك الناس إلا المتلبّسين بالدين ودعوى العِلم، المتعالين على الناس، الضالين المضلِّين بعورتهم المعرفية. يبدو في الآية تبيين الله اتهام الناس للأنبياء عليهم السلام. فالذي كان منهم في سوء اتهامهم النبي محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله في حبّ زوجة إبنه بالتبني زينب ثم زواجه منها، كان كذلك اتهامهم لداود عليه السلام في حبّ زوجة أحد جنوده ثم زواجه منها. فقال تعالى للنبي محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله ﴿**اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ...**﴾[330] وذكره الله بصفات الأوبة والحِكمة وفصل الخِطاب. وليس المقصود بذلك تذكير رسول الله محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه

---

[328] سورة ص : 40
[329] سورة ص : 17-20
[330] سورة ص : 17

وآله بتلك الصفات، فهو كامل الصفات، لذلك فإن الإشارة هي لتسلية الحبيب عما يقوله الناس في زواجه بزينب بنت جحش رضي الله عنها لمشابهته لما قالوه عن داود عليه السلام صاحب تلك الصفات الممدوح بها من ربّ العالمين **﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ...﴾**. فصَبَر محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله على ما يقول الأعراب حتى قال **"ما أوذي أحد مثلما أوذيت"**[331].

فصل داود فيما كان من القول بين الخصمين في السؤال واعتبر بذلك **﴿...وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴾**. ذكروا أنه كان في أمنية داود إتمام المائة من الزوجات- وأنا لا آخُذ بذلك بل أرى أنّ الأمر كان يتعلّق بحكم داود عليه السلام بالظُلم على السائل لمجرد السؤال لا بواقعة حدثت بالفعل، وكان قد أمره الله تعالى بقوله **﴿...فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...﴾**[332] لأنه خُصّ بالخلافة تحديداً. فاستغفر لحُكمه على مجرد السؤال.

لقد نسب المفسرون وبعض أتباع الرسل إلى رسلهم كثيراً من الأشياء التي يصعب على النفس قبولها، كرواية أنّ داود كان له مائة زوجة ولسليمان ألف زوجة، وكقولهم

---

331 أبو نعيم

332 سورة ص : 26

على خاتم الرسل إنّه كان يطوف على نسائه كلهن في ليلة واحدة بغُسل واحد كأنّ هواية الرسل كانت نكاح النساء بل جعلوا أهمّ ما في الجنة نكاح الحور العين وحصروا الدين كله في المضاجعة وفروج النساء. فإن كان الأمر يتعلّق بما كان في أمنية داود عليه السلام، فالله أحكم آياته وحفِظ داود من إلقاء الشيطان في أمنيته. فرسل الله هم المصطفون الأخيار والقمم في السلوك والأخلاق وهي رسالاتهم، فما كان من داود عليه السلام إلا الشكر والإنابة والاستغفار، وخر راكعاً وأناب. وهذه أحوال الرسل عليهم السلام.

قال تعالى **﴿...وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ...﴾** فما سلِم الرسل عليهم السلام من اتهامات أممهم فوصفوهم تارة بأنّهم من السحرة، وتارة أخرى بالكذب والجنون وتعدد الزوجات وزواج القاصرات إلى غير ذلك مما لا يناسب الفِطرة السليمة **﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾**[333]. وقد جاء عن خاتم الأنبياء والمرسلين أنه قال **"ما أوذي أحد مثلما أوذيت"** فالرسل عليهم السلام هم أكثر الناس تحمّلاً للأذى. فما قالوه في داود عليه السلام في أمر زواجه ما هو إلا من قبيل الأذى الذي يلاقيه رسل الله. قالوا إنّ داود كان يُطِل من قصره على منزل أحد قواده فرأى زوجته الفاتنة "باث شيبا" فوقع حبها في قلبه وعزم على أن يتزوجها فتحايل على زوجها وأرسله

[333] سورة الذاريات : 52

إلى القتال المرة تلو الأخرى حتى قُتِل زوجها ثم تزوجها وأنجب منها سليمان. وكانت من سلالة الفرعون حسب إسمها الذي يعني بنت المِلك "باث شيبا".

جاء في كتاب تاريخ ملوك إثيوبيا[334] أنّ باث شيبا تعني بنت العهد أو المِلك الفرعوني، وعليه فهي ذات أصل بملوك كوش، وهي التي تزوجها داود عليه السلام وأنجب منها سليمان عليه السلام. وما قالوه في زواج داود بباث شيبا شبيه بما قالوه إجحافاً في حقّ محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله في زواجه بزينب بنت جحش رضي الله عنها كما ذكرنا، حيث قالوا وقع حبها في قلبه، بينما كانت في عِصمة إبنه بالتبني زيد. وكان ينظر إليها حينما كشف الهواء عن ساقيها. فما أسوأ مما نسبوه إلى رسل الله الذين كانت رسالاتهم الأخلاق ولطّخوا عقول الناس بما لا يليق نسبته إلى الأنبياء عليهم السلام.

جعل الله سبحانه الناس خلائف في الأرض لكنه عيّن داود وخصّه بالخلافة **﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ...﴾**[335] ولم يعيّن الله سبحانه أحداً بالخلافة في الأرض تحديداً غير داود عليه السلام، ومع ذلك طلب الله منه مع جميع الرسل في الميثاق

---

[334] Wallis Budge, E A, "The Queen of Shiba and Her Only Son Menyelek (Kebra Nagast)", Cambridge, Ontario, 2000.

[335] سورة ص : 26

الإيمان بمحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ونصرته **﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ...﴾**[336].

وقامت الصناعة في عهد داود عليه السلام للاقبال على الحديد قال تعالى **﴿...وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾**[337] وانتشرت في مملكة النوبة في عهده أيضاً المدن التي عُرِفت بصهر الحديد، لوجود الأخشاب التي تساعد على ذلك. فازدهرت الصناعة، وبرع الناس هناك في صناعة آلات الحرب، كالسيوف والدروع قال تعالى **﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾**[338] ومن المعروف أن القبائل النوبية الإفريقية عموماً يحبّون الرقص والطرب، لهذا قاموا بتحسين صناعة آلات الطرب التي يقال إنها كانت تُستعمل في أداء مزامير داود وصنعوها من الحديد بعد أن كانت بدائية من القصب والفخار، قال تعالى **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾**[339]. ولقد كان الطير أيضاً في ذلك العهد يُتّخذ لتوصيل الرسائل والمخاطبات مع أهل الأماكن النائية.

---

[336] سورة آل عمران : 81
[337] سورة سبأ : 10
[338] سورة الأنبياء : 80
[339] سورة سبأ : 10

سليمان عليه السلام

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[340]. آل المُلك إلى سليمان وورث دولة أُعيد تكوينها وتدبيرها على يد والده داود عليه السلام الذي دانت له حتى جبالها وطيورها **﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾** وتوسّع مُلك سليمان عليه السلام قال تعالى **﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[341]. فكان له من العِلم ما يُدير به تلك الدولة المترامية الأطراف.

سخّر الله لسليمان الجِن **﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاء مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ...﴾**[342] وسخّر له كذلك **﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاء وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾**[343] وكذلك الريح **﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاء حَيْثُ أَصَابَ﴾**[344] وقال تعالى **﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ**

---

[340] سورة النمل : 16
[341] سورة النمل : 15
[342] سورة سبأ : 13
[343] سورة ص : 37-38
[344] سورة ص : 36

الْقِطْرِ...﴾[345] وعين القِطر التي سخرها الله سبحانه لسليمان عليه السلام هي التي بقي من أثرها حفرة النحاس في دارفور. فإنّ امتداد مملكته كان يشمل كلّ ما كان من مملكة كوش حتى شمال مملكة سبأ التي هي منطقة البطانة الحالية، وما بين النيل الأزرق والأبيض - منطقة الجزيرة- وهي مملكة بلقيس. وبما أنّ سليمان عليه السلام ورث دولة والده فقد استخدم الجِنّ لتشييد قصوره وتزيينها بالتماثيل والتحف المرجانية، وكانت الشياطين تجلب إليه من البحر الأحمر ما يريد من تلك الشُعَب المرجانية. قال تعالى **﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾**[346]. قيل إنّ سواكن هي التي كان يستخدمها سليمان عليه السلام لسجن المتمردين من الجنّ وإسمها سواجن.

أُعطِي سليمان عليه السلام الريح وكان يرسلها إلى حيث يشاء من مقر ملكِه في الدولة التي ورثها عن أبيه داود بعد قتل جالوت وزوال مُلك الفراعنة واستيطان بني إسرائيل فيها، فكان يُرسِل الريح إلى جميع أرجاء مملكته في الأرض المباركة قال تعالى **﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾**[347].

---

[345] سورة سبأ : 12
[346] سورة الأنبياء : 82
[347] سورة الأنبياء : 81

وهي من جنود الله فقد أهلك الله بها عاداً الأولى قال تعالى **﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾**[348] وقد يُهلِك بها عاداً الآخرة الذين يقولون **﴿...مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً...﴾**[349] كما أهلك عاداً الأولى. فالريح من جنود الله للهلاك والدمار فكان سليمان يستخدمها لحفظ المملكة ممن يريد الضرر بها ويدفع بها كلّ متربص. أما الرياح فهي للخير والرحمة قال تعالى **﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ...﴾**[350] **﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ...﴾**[351] وكان محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يقول **"اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً"**[352].

دعا سليمان عليه السلام ربّه ليكون له مُلك عظيم **﴿...وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾**[353] فأعطاه المُلك وسخّر له الجنّ والشياطين والريح، وقال له **﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾**[354] فجاءه الهدهد **﴿...فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾**.[355] تجدر الإشارة إلى عظمة

---

[348] سورة الحاقة : 6
[349] سورة فصلت : 15
[350] سورة الحجر : 22
[351] سورة الأعراف : 57
[352] الطبراني في الكبير
[353] سورة ص : 35
[354] سورة ص : 39
[355] سورة النمل : 22

خُلق الرسل عليهم السلام، وكيف تقبّل أعظم ملِك في الوجود من طير في مملكته يقول له ﴿**...أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ...**﴾ ﴿**إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**﴾ [356] فما كان ردّه على ذلك القول الجارح إلا أن ﴿**قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ [357] ﴿**اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ**﴾ [358] وذهب الهدهد بكتاب سليمان عليه السلام إلى مدينة سبأ في مملكة بلقيس وألقاه إلى مِلكتهم ﴿**قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾ [359].

لا يفهم من أمر سليمان "وأتوني مسلمين" إكراههم على الدين لأنّه لم يعرض عليهم ديناً فالأمر يتعلق بالملك، وما ينبغي أن يكون هناك عرش عظيم بجانب ملك سليمان الذي أعطاه الله ملكاً لا ينبغي لغيره، فما على هؤلاء القوم إلا الاستسلام لسليمان تحت ظل ملكه "ألا تعلو عليّ وأتوني مسلمين" وهو الانقياد هنا له والإتيان له مسلّمين أمرهم أي مستسلمين. إنّ كلمة مسلمين لا تعني مؤمنين فقد عرّف النبي صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله المسلم بقوله

---

[356] سورة النمل : 23
[357] سورة النمل : 27
[358] سورة النمل : 28
[359] سورة النمل : 29-31

"المسلم من سلِم الناس من يده ولسانه" [360] قال تعالى **﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا...﴾** [361] وهو الانقياد والاستسلام للنبي صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله وهو الإسلام الطوعي قال تعالى **﴿...وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا...﴾** فإسلامهم للنبي هو الإسلام الطوعي والانقياد وليس الإيمان وهذا الإسلام لا يعطيهم مزية غير أنّه طوعي فقد أسلم لله من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً. **﴿...وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾** [362] وقال تعالى **﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا...﴾** [363] أي اتبعوك واستسلموا لك يشيرون بذلك أنهم أصبحوا له عضداً وقوة لم تكن عنده من قبل مجيئهم إليه **﴿...قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ...﴾** [364] وقال تعالى عن التوراة **﴿...يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ...﴾** أي انقادوا واستسلموا لله لما جاء فيها. فالإسلام الطوعي هو الانقياد والاستسلام للنبي الذي يقود للإيمان بالله. وكانت بلقيس على

---

360 أحمد

361 سورة الحجرات : 14

362 سورة الحجرات : 14

363 سورة الحجرات : 17

364 سورة الحجرات : 17

دراية وعِلم فاستشارت قومها **﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا المَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾**[365]

﴿قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[366]

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[367] وأرسلت رسلها لسليمان عليه السلام بهدية عظيمة من المجوهرات والذهب، لكنّه رفض الهدية وتوعدهم.

﴿...قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ * ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[368].

هنا يتّضح رجاحة عقل بلقيس في التعامل وهو ما ينقض صحّة ما قيل إنّه حديث **"لا يُفلِح قوم ولوا أمرهم إمرأة"**[369]، فقد استشارت قومها حين أتاها كتاب سليمان، ولم تتخذ قراراً فردياً، ثم إنّها لم تنساق وراء قولهم إنّهم "أولو قوة وأولو بأس شديد" لأنّ ذلك يعني الحرب، فرأت

---

[365] سورة النمل : 32
[366] سورة النمل : 33
[367] سورة النمل : 34-35
[368] سورة النمل : 36-37
[369] البخاري

إرسال هدية عظيمة تدل على عظمة المُلك لترى أثرها على سليمان، فلما رأت أنّ سليمان عليه السلام لا تغريه الأموال ورفض تلك الهدية العظيمة وردّها عليهم ولم يُصادِرها، عِلمت أنّ له مُلكاً فوق ما تصوّرت، فقررت عدم الدخول معه في حرب، واتخذت قرارها الحكيم بمجيئها إليه.

عِلم سليمان بقدوم بلقيس مسلِمة له بما أتاه الله من عِلم، فطلب ممن يخدمونه إحضار عرشها قبل وصولها إليه **﴿قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾**[370] فتسابقوا لخِدمته **﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾**[371] وكان في تلك الحضرة أحد الصالحين عنده عِلم من الكتاب يُدعى آصف بن برخيا **﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾**[372] وذلك يعني قبل رجوع الضوء من المرئي إلى عدسة العين، أي ضِعف سرعة الضوء. فكيف يكون تصريف من عنده عِلم الكتاب كله قال تعالى **﴿...قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ...﴾**[373] فالذي عنده عِلم الكتاب الذي يشهد لرسول الله صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله هو صاحب الزمان عليه السلام الذي ينتظره كلّ أصحاب

---

[370] سورة النمل : 38
[371] سورة النمل : 39
[372] سورة النمل : 40
[373] سورة الرعد : 43

الديانات لخلاص البشرية من الشرّ، وهو الذي يُظهِر دين الله الذي جاء به كلّ الرسل في رسالة شاملة جامعة ﴿**...لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ...**﴾ فله من العِلم ما تعجز عن إدراكه العقول لأنّ عنده عِلم الكتاب كلّه، أمّا الذي جاء بعرش بلقيس عنده عِلم من الكتاب. وكيف يُقدّر ذلك مع التقدم التكنولوجي الحالي؟ وفي هذه الحادثة يتضح أنّ الصالحين من بني آدم يتفوقون على صالحي الجن بمقدرات عالية، وهي علوم يعجز عن تفسيرها العِلم الحديث ولا تستطيع المختبرات اكتشافها، فالله تعالى أمر ملائكته بالسجود للإنسان. فمن الناس من هو شيطان "شياطين الإنس" ومنهم من يصلي عليه الله سبحانه.

يجب التدبُّر بعمق في كيفية إحضار عرش بلقيس وتصور ذلك مع عِلم الفيزياء والعلوم التكنولوجية الحديثة وهل هناك عِلم يقهرها؟ إنّ العلوم والتقنيات الحديثة تستبعد العلوم غير المادية، وتسوق الناس إلى ذلك بإرهاب فكري يبعدهم عن الإيمان بالغيب، والغيب هو البحر الذي يأتي منه العِلم المادي وغيره بلا حدود. وقد ينبهر بعض الناس بالاكتشافات العِلمية المادية فيسخرون من المستمسكين بإيمانهم بالغيب المجهول مقارنة بالعِلم المادي المحسوس، وهذه من مهلِكات الدجال ليُضِلّ بها الناس ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ...**﴾[374] بينما مهمّة كلّ الرسل هي

[374] سورة البقرة : 3

تبصير الناس بالإيمان بالغيب ﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾[375] لميولهم إلى التصديق والإعتقاد في العِلم المادي واتّباع ما جاء به أصحاب النظريات الكاذبة العارية عن الحقيقة، ومن ذلك قولهم بكروية الأرض، التي قال الله سبحانه وتعالى ﴿**وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا...**﴾[376] وقانون الجاذبية الذي بدونه لا يُمكِن قبول نظرية كروية الأرض ودورانها بسرعة هائلة، وقولهم بثبات الشمس عن الحركة، والله يقول ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي...**﴾[377] وهبوطهم الكاذب على القمر. قال تعالى ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ...**﴾[378]. إنّ العِلم الذي استطاع به آصف إحضار عرش بلقيس بهذه السرعة الفائقة ليس هو الذي يعرفه الناس بما وصلوا إليه من التقنية الحديثة هذه، فهل يُعترف به رغم الفتاوى الوهابية ويكون محل بحث للتطور العِلمي الذي يفوق الموجود في هذه التقنية، أم يُعتّم عليه ويُصرف الناس عنه ويُقتل من تبدو عليه معرفته باتهامه بالسِحر والشعوذة؟ وذلك لأنّه يؤدي للإيمان بالغيب الذي تسعى العلوم الدجّالية لصرف الناس عنه وإبعادهم عن الإيمان بالله ورسله. إنّ عدم الإيمان بالغيب هو إنكار الخالق سبحانه وهو الشِرك

---

375 سورة يوسف : 106
376 سورة الحجر : 19
377 سورة يس : 38
378 سورة الأنعام : 116

﴿...إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[379] فالمشرك ظالم لنفسه لأنّه حجر عليها الانطلاق من محدودية المادة إلى الانطلاق والنظر إلى من حيث يأتي العِلم والتفكُّر في ملكوت الله. فالشِرك أمر يتعلّق بالقلب الذي يعقل فالمشركون لهم ﴿...قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا...﴾[380] فهي معطلة عن أن تعقِل ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا...﴾ وهي ليست سليمة ولا نجاة في الآخرة ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[381]. والفرق بين الشِرك والكفر هو أنّ الشِرك يتعلّق بالقلب فهو أمر معنوي أما الكفر يتعلّق بالأفعال المادية. قال صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"لا تعودوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"**[382] فالدجّال يصرف الناس بالعلوم المادية عن الإيمان بالغيب، والعلوم المادية هي للتعامل في الحياة الدنيا وهي من مغريات الدجال للناس لصرفهم عن الحياة الآخرة.

إنّ العِلم الذي استخدمه آصف في إحضار عرش بلقيس لسليمان عليه السلام عِلم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقد أثبته الله في محكم تنزيله. فالبحث عن أصل هذا العِلم هو الذي ينبغي التدبر فيه ومحاولة معرفته لمن كان له قلب. قد يكون ما قام به آصف في إحضار عرش

---

379 سورة لقمان : 13
380 سورة الأعراف : 179
381 سورة الشعراء : 89
382 البخاري ومسلم

بلقيس هو من التصريف في أمر الوجود في حالة إنعدام الخلق وإيجاده في نفس الوقت. قال تعالى ﴿**...بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾[383] وهذا يعني الانعدام والإيجاد للخلق في اللحظة نفسها. وقد يكون آصف قد أنزل عرش بلقيس عند سليمان في لحظة الإيجاد من الانعدام بدل إنزاله أو خلقه في مكانه الذي كان فيه.

لا أدعو بهذا لمحاربة العِلم المادي بل قد أكون من أكثر الناس تقديراً للعِلم والعلماء الذين يأتون باختراعات واكتشافات تفيد الإنسان في تفاصيل حياته اليومية وصحته، وترفع مستوى الحياة عند الفقراء، وتزيل الفوارق والطبقات، وتعين الإنسان في كدحه لكسب الرزق والأمن في سربه، وإدخال السرور والسعادة في أسرته وحياته، وتختصر له الزمن والمسافات وهذا هو العِلم المطلوب المفيد للبشرية. لكنّي لا أرى أنّ الإنسانية تستفيد من مركبة تصل إلى كوكب المريخ، هذا إذا افترضنا أنّ هذا الأمر في الإمكان أو تمّ أصلاً كما يدعون، كما أنّه لا ينبغي لأصحاب الاختراعات والاكتشافات العِلمية المادية أن يطلبوا بأعمالهم هذه تصديق الناس لهم وحملهم على رفض الإيمان بالغيب والإصرار على أنّ العِلم هو المادي فقط. ولا ينبغي أن تكون

[383] سورة ق : 15

الاكتشافات العِلمية سبباً للتدخل في عقائد الناس واستدراجهم بها إلى الشِرك ورفض الغيب.

كانت رسالات الرسل سلام الله عليهم تأتي عند حاجة الناس إليها، وذلك حين يسيطر عليهم العِلم المادي، أو غير الحقيقي كالسِحر ويبعدهم عن الإيمان بالغيب الرحماني. فيظهر الله سبحانه عن طريق رسله القُوى فوق الماديّة ليردّ الناس إلى الإيمان به سبحانه. فعيسى عليه السلام كان قد بلغ الطبّ درجة عالية في عهده فجاءهم بما عجِز عنه الطب، مثل إبراءالأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله، وما كان ذلك عن طريق الدواء والعلاج المادي. كما بلغ السِحر في عهد موسى عليه السلام درجة عالية **﴿...سَحَرُواْ أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾**[384] فأظهر الله سبحانه قدرته في عصى موسى وأبطل سِحر الساحرين الذين كانوا يعملون تحت فرعون لقهر الناس وقمع تفكيرهم وتحجير عقولهم ليقبلوا ما يشيرون به عليهم في اتِّباع فرعون.

إنّ ما وصل إليه العِلم الحديث والتقدم التكنولوجي المذهل الذي يكاد يصل إلى درجة اللامعقول، وتدخّله في خصوصيات الناس وكشف أسرارهم، بل والتصرّف فيهم بما يريد أصحاب هذا العِلم، واختلاق ما يريدون أن ينسبوه

[384] سورة الأعراف : 116

إلى أيّ أحد من تصرُّف غير حقيقي كما يحبّون، شراً كان أو خيراً، يجعل الحياة الإنسانية في حاجة إلى الخلاص من هذا السحر العظيم المهيمن عليهم، والذي سيطر على كل مناحي الحياة أيضاً. وهو فيما أرى علامة على ظهور المسيح عليه السلام، فقد دعت إليه حاجة الناس ﴿**مَّا كَانَ اللّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ...**﴾[385] وآن الوقت ليخاطب عيسى عليه السلام الناس كهلاً بعد أن خاطبهم في المهد. وكهلاً لا يعني أن يكون عمره أكثر من ألفي عام، فالكهولة فوق السبعين وليس الألفين وهذه معجزة في عمره لا تقل عن مخاطبته للناس في المهد ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ...**﴾.

لا يظن أحد أنّ سليمان عليه السلام كان أقل علِماً ممن أحضر العرش، فالذي عنده علم من الكتاب هو أحد الذين يخدِمون هذا النبي الذي أثبت الله له العلم. قال تعالى ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا...**﴾[386] ولا يوجَد في أيّ أمّة من الأمم من هو أعلم من رسولها الذي اصطفاه لله للرسالة، وإلا لكان أولى بالرسالة منه. ومن يعتقد غير ذلك فقد أساء الظن بالرسول، لرؤيته أفضلية غيره عليه، وجوّز عليه الخطأ ليصحّحه من هو دونه من الذين أُرسِل إليهم، وفقد الثقة فيه، وخرج بذلك عمّا جاء به الرسول وصحّة

---

[385] سورة آل عمران : 179

[386] سورة النمل : 15

رسالته، وشكّ في اختيار الله لرسله واصطفائه لهم إذا كان يوجد في أممهم من هو أعلم منهم وأفضل.

الملكة بلقيس

أحضر آصف عرش بلقيس لسليمان في أقلّ من لمح البصر وهو أمر لم تصل إليه التقنية الحالية المعتمِدة على العِلم المادي ﴿**...فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ...**﴾[387] هكذا أخلاق الرسل لا يرون ما فضّلهم به الله إلا أمراً يستدعي الوقوف عنده للشكر لربّهم سبحانه لا للتعالي على الناس وفرض سلطانهم عليهم ﴿**قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ**﴾[388] ﴿**فَلَمَّا جَاءتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ...**﴾[389] أراد سليمان عليه السلام أن يُريها عظمة ما أتاه الله من المُلك ﴿**قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن**

---

[387] سورة النمل : 40
[388] سورة النمل : 41
[389] سورة النمل : 42

قَوَارِيرَ...﴾[390] حينذاك تأكّد لها عظمة ما عند سليمان عليه السلام من مُلك الله، وأحسّت بصغر حالها في كشفها عن ساقيها، وضآلة ما عندها من مُلك بجانب ما أعطاه الله لسليمان. أخطأ من فسّر كشف الساقين بكشف الساق، فكشف الساق يعني التأهب لقوة المواجهة الخطيرة أما كشف الساقين هنا فقد كان لما حسبته لجّة. ﴿**...قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾**[391] ولم تقل **أَسْلَمْتُ لِّرَبِّ الْعَالَمِينَ** بل قالت "مع سليمان" فلم تتخطّ سليمان عليه السلام ومعيّته، كما فعل الحواريون مع عيسى عليه السلام حين قال لهم ﴿**...مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللهِ...﴾**[392] فلم يقولوا "نحن أنصارك إلى الله" بل تخطّوه وقالوا ﴿**...نَحْنُ أَنصَارُ اللهِ...﴾**[393] على الرغم من أنّ السؤال لم يكن ﴿**...مَنْ أَنصَارُ اللهِ...﴾** فلزمت بلقيس المعيّة وهي التي أوصى الله بها عباده الصالحين، قال تعالى ﴿**...اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾**[394] ولم يلزم الحواريون المعية مع عيسى عليه السلام فإذا بهم يتعثرون ويقولون ﴿**...يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ...﴾**[395]. فلو لزموا معيته وقالوا نحن أنصارك إلى الله لما أصابهم

---

390 سورة النمل : 44
391 سورة النمل : 44
392 سورة آل عمران : 52
393 سورة آل عمران : 52
394 سورة التوبة : 119
395 سورة المائدة : 112

الشكّ ولما قالوا ﴿...**وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا...**﴾[396]. يُلاحظ رجاحة عقل بلقيس في قولها ﴿...**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[397].

وأصبح مُلك سليمان عليه السلام يمتد من أسوان إلى شمال مملكة بلقيس التي تمتد إلى الهضبة الإثيوبية والبحر الأحمر وعاصمتها سبأ (سوبا)، وقد ورد في العهد القديم في سِفر الملوك وفي إنجيل ماثيو ولوقا أنّ ملِكة إثيوبيا مكيدا حينما حضرت إلى سليمان عليه السلام أُعجِبت بحكمته، وأقامت معه في قصر أعدّه لها خصّيصاً، وعاشت معه فترة من الزمن قبل أن تعود إلى عرشها في مملكة سبأ حيث أكرمها، وكان يقدِّم لها الهدايا ومنها خاتم جليل دليل على زواجه منها. وثبت أنّها حملت منه بابن سمته ابن الحكيم وصار فيما بعد يُدعى منلك ثمّ رجعت إلى سبأ (سوبا) وخلفها بعد رحيلها إبنها في المُلك. وقام منلك بزيارة والده سليمان عليه السلام، وكان يحمل معه الخاتم الذي أهداه سليمان لأمّه فكان محل احتفاء سليمان به. وقام منلك ومعه رئيس القساوسة أزاريا بسرقة التابوت، وعندما افتقد سليمان عليه السلام التابوت أرسل في طلبهم ولم يدركوهم. فأمر سليمان بالتكتم على هذه الحادثة وبناء تابوت مثل ذلك المسروق الذي أُخِذ إلى مملكة (سبأ) حيث مقر مكيدا هناك.

---

396 سورة المائدة : 113

397 سورة النمل : 44

ويبدو أنه بذهاب التابوت وانتقاله إلى مملكة (سبأ) كانت نهاية مُلك سليمان عليه السلام. قال تعالى ﴿**...مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ...**﴾[398] ذكر ابن كثير أنّ كلمة منسأة تعني العصا بلغة الحبشة وفي هذه دلالة على أنّ مُلك سليمان الذي قام على أنقاض مملكة كوش التي دخلها طالوت بعد هزيمته لجالوت امتد إلى مملكة سبأ، وهي الممتدة إلى الهضبة الإثيوبية. واللغة من أكبر الدلالات على الإقليم الذي تنتشر فيه.

دابّة الأرض:

تتغذى الأرَضَة (النمل الأبيض) على التمور وبعض المحاصيل التي تُنشر على الأرض بغرض التجفيف، وكذلك قصب السكّر والذرة والقمح والسمسم، وهي تواجد على حوض النيل ومنطقة السافنا. ومسكن الأرضة يكون أيضاً في المنازل المبنية بالطوب الرطب حيث تُحدِث فيه إصابات وأنفاقاً فتتهدم الجدران وتكون مرققة وهشة من الداخل، كما تأكل الأخشاب الملاصقة للحائط والنوافذ والأبواب والسقوف المصنوعة من جذوع الأشجار. وهذه الحشرة لا تعيش عادة في المناطق الباردة، وهذا يدلّ على أنّ منطقة حوض النيل والسافنا هي مقرها،

[398] سورة سبأ : 14

وهذه الحشرة (دابة الأرض) هي التي أشار إليها القرآن أنها أكلت منسأة سليمان عليه السلام لوجودها في مملكته، ولا أرى أنّ الأمر قد تمّ في فلسطين كما يصرّ الكثير من الباحثين إذ يختلف مناخها المتوسطي المعتدل عن المناخ الحار الرطب في حوض النيل.

كما أنّ الأدوات المقدّسة التي ورد ذِكرها في سِفر الخروج وصدور الأمر لموسى بتصنيعها كانت من خشب الأكيشيا، وهي الأشجار الشوكية النيلية مثل السُنُط والهشاب والطلح. وتشمل تلك الأدوات تابوت عهد الرب، والمنضدة التي توضع عليها الألواح المقدسة في بيت الرب، المبني على شكل خيمة من الجلد وقوائمه من أشجار السُنُط، وكذلك المسطبة التي تُقدّم عليها القرابين حيث صُنِعت من أخشاب شجر السُنُط. فهذه الآثار توضح أنّ صِناعتها كانت من الأشجار التي في منطقة السافنا وحول حوض النيل، وكلها آلت إلى سليمان عليه السلام، ووضعها في التابوت الذي كانت قوائمه من شجر الأكيشيا ومطلية بالذهب فأخذه إبنه منلِك خلسة، وأرسل سليمان في طلبه ولم يفلح وبفقده فقد سليمان ملكه. ﴿**...مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ...**﴾ التي كانت من خشب الأشجار النيلية.

سبأ وسوبا:

من المعروف أنّ طائر الهدهد ليس من الطيور ذات الهجرات الطويلة التي تستطيع عبور البحار كالرهو والباجبار. وأنّ منطقة وجوده وتكاثره في مناطق السافنا، وفي حوض النيل من النهر إلى أطراف الهضبة الإثيوبية، فتلك المنطقة هي التي وجد الهدهد فيها مدينة سبأ وأتى بخبرها لسليمان عليه السلام. وهي المملكة التي سمّاها القائد الفارسي قمبيز لاحقاً مملكة مروي.

تجدر الإشارة إلى أنّ إسم إثيوبيا بحدودها الحالية إسم مستحدث بعد الحرب العالمية، وقديماً كان يعني كلّ المنطقة التي يسكنها السود، ومن أسمائها "تانحسو" وبالعربية تعني أرض السود. وفي الكتاب المقدس الإشارة إلى كوش، وتعني القطر الذي يقع جنوب أسوان، ومصر الحالية تمتد من أسوان إلى الدلتا. وأهل أسوان وجنوب مصر إلى اليوم يطلقون إسم مصر على القاهرة، وهذا يدل على عدم ترسيم حدود لا كما عليه الحال الآن. وكانت نبتة هي العاصمة لجالوت، واستقر فيها داود عليه السلام بعد موت طالوت، وعقبه إبنه سليمان عليه السلام مِلِكاً عليها حتى جاءه الهدهد بخبر من مدينة سبأ وهي (شيبا) في مملكة بلقيس وتُعرف محلياً بإسم سوبا في حوض النيل.

تقع مدينة سبأ (سوبا) داخل حوض النيل في مملكة سبأ الممتدة من أطراف حدود مملكة نبتة إلى الهضبة الإثيوبية، وقد حكمت مملكة سبأ عدد من المِلكات اللاتي ينحدرن من سلالة الفراعنة الكوشيين، وكان يُطلق لقب "مكِيدا" على كل من تجلس على عرش المُلك في مدينة سبأ (سوبا)، وإسم مكِيدا يعني ملِكة وهو تحريف لإسم 'الكنداكة'. وأولهن كانت زوجة سليمان عليه السلام، وتُدعى بلقيس، ويبدو أنّها لمّا أسلمت مع سليمان وتزوجها أقرها على مُلك سبأ وكانت إقامتها في مدينة سبأ (سوبا). وتعاقب على مُلك سبأ بعد منلك عدد من الكنداكات يُقال إنّ عددهن بلغ ستين كنداكة. وسبب انتقال المُلك للنساء هو أنّ منلِك ابن الكنداكة بلقيس من سليمان كان له ابن توفي في حياته لذلك آل المُلك بعده لأخته ثم صار بعد ذلك في ذريتها من النساء لأنّ المُلك لا ينتقل عندهم إلا لسلالة الملوك المقدّسة. ويُنسب "هيلا سلاسي" الذي كان امبراطوراً على إثيوبيا إلى منلِك ابن سليمان عليه السلام وقد اتخذ لنفسه لقب هيلا سيلاسي الأول ويعني ذلك باللغة الأمهرية قوة الثالوث، وفيما بعد أضفى على اسمه لقب "الأسد القاهر من سبط يهوذا المختار من الله ملك إثيوبيا". لذلك كانت بعض الطوائف تقدّسه وتراه مسيحها المنتظر.

قال تعالى **﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ**

طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[399].

من المرتفعات الإثيوبية التي لا يزال النيل الأزرق يتدفق منها جاء سيل العرِم الذي أرسله الله على سبأ (سوبا) في مملكة سبأ بعد نبي الله سليمان عليه السلام. وذلك بعد ما تبادل المُلك فيها عدد من المِلكات (الكنداكة) وفرّطوا في ما جاءهم به سليمان عليه السلام من التعامل بالأخلاق وما جاء في التوراة من ترك الظلم والاعتداء، ورجعوا إلى عاداتهم السيئة واتّبعوا شهواتهم **﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ...﴾**، فدمّر السيل المنحدر من المرتفعات الإثيوبية المزارع والحدائق، وكان ذلك خراب سبأ (سوبا) ولم يبق لهم فيها إلا أشجاراً مرّة الثِمار **﴿... ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾** وغالباً ما تكون أشجار الهجليج وأشجار الأثل، وهي أشجار الطرفة النيلية، وأشجار السِدر المتواجدة في إقليم السافنا وتتواجد بكثرة في السودان. ودمّر ذلك السيل كذلك كل الآثار التي مرّ عليها، لذلك لم يُعثر

[399] سورة سبأ : 15-18

على آثار إلا في المناطق التي لم يمر عليها في مناطق الحاج يوسف والمناطق جنوب سوبا إلى سنجة وجبل موية.

بنى سليمان عليه السلام لبلقيس قصراً في جزيرة كبيرة كما جاء في سِفر الملوك، ويبدو أنّ تلك الجزيرة المذكورة هي الأرض الواقعة بين نهري النيل الأزرق والأبيض، وهي التي لا تزال تحتفظ بهذا الاسم، وشيّد القصر على مشارف النيل الأزرق. فلما انحدر عليهم سيل العرِم الذي كان في مجرى النيل الأزرق الذي أطلقوا عليه بحر العاديك كان منه الدمار الذي وقع على سبأ بقسميها شرقي النهر وغربه. والسيل لا يُدمِّر دولة إنما يُدمِّر مدينة فكان الدمار لمدينة سبأ مقر المُلك في مملكة سبأ ذات الجنتين عن يمين النهر وشماله فأصبحتا **﴿...جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾**[400].

وكانت مدينة سبأ (سوبا) من أعظم وأجمل المدن في مملكة سبأ وشيّد فيها سليمان القصر الذي بناه لبلقيس على مشارف النيل الأزرق شرق النهر وغربه، وكان من أكبر وأعظم القصور التي استُخدِم الجِن في بنائه وتجميله وتحسينه على ضفتي النهر. فلما انحدر عليهم سيل العرِم الذي كان في مجرى النيل الأزرق أحدث دماراً شاملاً على مدينة سبأ بقسميها شرقي النهر وغربيه.

---

[400] سورة سبأ : 16

لقد وجدتُ شجيرات من السِدر في مقام نبي الله شعيب بالأردن عام 2011، في منطقة الغور ذات المناخ الحار الشبيه بطقس السودان، ولم أجد شجرة سِدر في الأردن غير تلك الشجيرات، ولا يُفَسّر ذلك إلا بعلاقة شعيب بموسى عليهما السلام وعلاقتهما بالسودان لوجود ثمر السدر (النبق) عندهم. فقد كانت زوجة شعيب كوشية يؤكد ذلك ما جاء في سفر العدد (إصحاح 12) حيث ذُكِر **"أنّ مريم وهارون تحدثا في حقّ موسى بسبب معاملة زوجته الكوشية"** فإذا كانت زوجة موسى كوشية وهي بنت شعيب فذلك يعني أنّ أمها كوشية وشعيب عليه السلام نزح من كوش نتيجة لسوء معاملة ملوك كوش الفراعنة لبني إسرائيل في أرض النوبة. وموسى عليه السلام أمه يوحانذ وقيل يوكابد كانت كذلك من كوش في شمال السودان. وبنو إسرائيل يعتمدون النسب عن طريق الأم. وكان موسى عليه السلام آدم اللون، وكانت آية بياض يده التي أراها فرعون دليلاً على ذلك. وللمناخ تأثير واضح في لون البشرة للسكان، فالأنبياء الذين أُرسِلوا في إقليم تكون بشرتهم متأثرة بحرارة الإقليم أو برودته فليس لأبيض فضل على أسود.

قال تعالى **﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً...﴾** والقرى التي بارك الله فيها هي التي كانت حول عاصمة كوش، حيث كان حُكم الأنبياء داود وسليمان عليهما السلام. وقامت تلك القرى لوجود المياه من

الأنهار والعيون، فعمرت بما قام فيها من جنّات وعيون وزروع ومقام كريم. وقد أثبت الله سبحانه في محكم تنزيله البركة في هذه الأرض التي كان يحكمها فرعون وآله، فأخرجهم الله منها قال تعالى ﴿**فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ الذين كانوا مستضعفين في العهد الفرعوني قال تعالى ﴿**وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا...**﴾ وذلك بعد دمار مُلك فرعون ﴿**...وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ**﴾. ويكثر النخيل في تلك المناطق وهو أهم المنتجات الغذائية التي يعتمد عليها السكان. فالنخل من أهم ما يُحفّ به تلك الجنات قال تعالى ﴿**...جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا**﴾[401].

[401] سورة الكهف : 32

إلياس عليه السلام

قال تعالى ﴿**وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ**﴾[402].

بعد موت سليمان عليه السلام كان الذين لم يؤمنوا برسالته ينظرون إليه كمِلِك لا كرسول من الله سبحانه يؤدي رسالة للإنسانية للسلوك بقيم الأخلاق واحترام الحقوق والحكم بالقِسط بين الناس. وكان ذلك شأن أكثر الذين خلفوا رسل الله وجاءوا من بعدهم إذ جعلوا لأنفسهم سلطاناً لم يكن لرسلهم وأكرهوا الناس على مبايعتهم وتسلطوا باسم الدين، وصاروا أمراء وفرضوا سلطانهم وطاعتهم بالسيف بينما لم يكن للرسل في حقيقة دعوتهم غير البلاغ، وإرساء عدم الإكراه في الدين، وتأكيد حرية الإنسان ﴿**...فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ...**﴾. وكذلك كانت نظرة الأعراب إلى رسول الله محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله، فكان كل همهم هو فيمن يعقبه ليكون له المُلك والسلطان على الناس ليُكرِههم على ما هو عليه حتى أهملوا

[402] سورة الصافات : 123-130

تجهيزه والصلاة عليه عند وفاته. ولم يكن إبن سليمان الذي خلف أباه في المُلك على قدر من المسئولية. وله إخوة نازعوه في المُلك ففُقِد الانضباط في المجتمع وساءت عقائد الناس وفكّر كثير منهم في إله يرجونه غير إله هؤلاء الذين اختلفوا بعد أبيهم في المُلك، مما ظنه الناس دلالة على اختلاف عقائدهم، فاتخذ الناس بعلاً إلهاً، وخرجوا عن دين موسى، وما نظروا لسليمان إلا كملِك لا كرسول يُتبع.

ظهر الملِك آحاب داعماً للخروج عن دين موسى وداعياً لعِبادة الإله بعل، فبعث الله سبحانه إلياس الذي دعا الناس إلى الله واتِّباع ما جاء به الرسل من قبله، وقام الملِك آحاب بقمع ظاهرة إتِّباع إلياس وخروجه عن ملكِه، ووصل الأمر إلى مناظرة بينه وبين إلياس عليه السلام ظهر للناس فيها عجز إله آحاب بعل. وانقسم الناس بين مؤمن بإلياس وبين خائف من الملِك آحاب. وحاول الملِك آحاب قتل إلياس فهاجر إلى جبل حوريب (الطور) حيث التقى هنالك باليسع عليه السلام ووصاه بمواصلة الرسالة من بعده ثم رفعه الله مكاناً علياً، هكذا يذكر أهل الكتاب. وذُكِر في الكتاب المقدّس أنّ عباءته ألقاها إلى اليسع فورث ما كان لإلياس من المعجزات. وبهذا يكون إلياس في الكتاب المقدّس كأنّه إدريس عليه السلام نفسه الذي ذكره الله في القرآن الكريم بأنّه رفعه مكاناً علياً.

اليسع عليه السلام

قام اليسع عليه السلام برسالته في مملكة كوش خلفاً لرسول الله إلياس، وعارض رسالته أيضاً الملِك آحاب لكن الله نصره عليه. وترك الناس عِبادة بعل وعادوا إلى الإيمان بالله وبرسوله اليسع، وعاش فيهم ستين عاماً لم يؤثَر فيها خروج عن الدين من الرعية ولا من حاكِم. ولا توجد آثار عن رسول الله اليسع عليه السلام في كتب السابقين.

ذو الكفل عليه السلام

لا يوجد في زبر الأولين، ولا ما ترجمه أهل الكتاب شيئاً يوضح رسالة ذي الكفل عليه السلام، ولا المكان الذي أرسل فيه، وقد ذكر القرآن ذا الكفل مع رسل الله إسماعيل واليسع، ولذا جاء اثباتنا له من المرسلين رغم عجزنا عما كانت عليه رسالته، ومكانها والزمن الذي أرسل فيه.

يونس عليه السلام

قال تعالى ﴿**وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاء وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ**﴾[403].

وقال تعالى ﴿**وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾[404]. لا يُفهم من قوله تعالى ﴿**...فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ...**﴾ شكّاً من يونس في قدرة الله تعالى إنما نظر يونس إلى ضعفه في إمكانية إقناع القوم بالرسالة وعجزه عن إكمالها ﴿**...وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ...**﴾[405]. والحوت من أكبر مخلوقات الله فمن بعض أنواعه ما طعامه في اليوم أربعة أطنان، ويرضع وليد الحوت في يومه طناً من الحليب. وجاء في الحديث **"الجراد**

---

403 سورة الصافات : 139-148

404 سورة الأنبياء : 87-88

405 سورة غافر : 5

نثرة حوت في البحر"[406] ولذا تجد المهتمين بمكافحة الجراد يتواجدون قرب البحار.

لا يوجد من الآثار ما يؤكد بالتحديد مكان الحوت الذي التقم يونس عليه السلام، هل هو البحر الأحمر أم البحر المتوسط أم الخليج. لكن بما أنّ بني إسرائيل كان موطنهم في مملكة كوش فالأرجح أن يكون حوت يونس في البحر الأحمر، كما أنّ القرية التي أُرسِل إليها بها مائة ألف أو يزيدون فذلك يعني أنها من كبريات المدن آنذاك، ولا توجد في ذلك العهد بلاد بها ذلك العدد إلا ممالك كوش التي بدأت منها الحضارة الإنسانية، وفيها من الأنهار والأراضي الزراعية ورغد العيش ما كان سبباً في هذه الكثافة السكانية. وفكرة الالتقام لا تعني ابتلاع الحوت له والعيش في جوف بطنه لعدة أيام، كما يقول المفسّرون بل وضعه بين فكيه حتى أنجاه الله بالتسبيح والدعاء. وإلا لابتلعه وظلّ في جوفه إلى يوم يبعثون.

406 ابن ماجة

أيوب عليه السلام

قال تعالى ﴿**وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَى لِأُوْلِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾[407].

اختلفت الروايات والآثار في زمن أيوب عليه السلام ومكانه، ولكن من القرائن ما يدلّ على أنّه كان في مملكة كوش وهو ما ذُكِر في العهد القديم من أنّ ماشيته سُرِقت من قِبل السبأيين وهم قوم من كوش وتدلّ كثرة ما كان عنده من الماشية والأبقار والإبل والأغنام أنّ مسكنه كان في مقربة من الأنهار وأرض السافنا في تلك المنطقة. ويظهر أدب الأنبياء في قول أيوب عليه السلام ﴿**...أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ**﴾ فرغم أنّه لا يشكّ في أنّ كلّ شيء بيد الله ومؤمن بالقدَر خيره وشرّه لكنّه لا ينسب ما عاناه من العذاب إلى ابتلاء الله له بذلك بل نسبه إلى الشيطان.

---

[407] سورة ص : 41-44

يُلاحظ كذلك أدب الرسل مع الله سبحانه في قول شعيب عليه السلام حينما هدده قومه بإخراجه ومن معه عن قريتهم أو العودة إلى ملتهم فرغم قوة إيمانه وقوله ﴿**قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا...**﴾[408] رغم ذلك يُرجِع الأمر إلى الله أدباً وعبودية فيقول ﴿**...إِلاَّ أَن يَشَاء اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا...**﴾[409].

---

[408] سورة الأعراف : 89

[409] سورة الأعراف : 89

مريم الصدّيقة

قال تعالى ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا * فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا**﴾[410]. أول من عُرفت باسم مريم في بني إسرائيل هي مريم أخت موسى وهارون وكلّ أصول أسمائهم ترجع للغة المصرية القديمة. ويعني اسم مريم باللغة المصرية القديمة (Mri (t) ym) محبّة النهر. ومريم أم عيسى عليها السلام لم تكن أخت رسول الله هارون عليه السلام نسباً، لكن بني إسرائيل درجوا على إعطاء لقب أخت هارون لكلّ من تُسمى مريم. وهذا ما سبب شيئاً من الالتباس عند بعض الناس بأنها أخت نبي الله هارون. وكذلك كان كل من يقوم بخدمة المسجد أو بيت الله يُنسب إلى هارون عليه السلام لأنه كان وزيراً لرسول الله موسى، ومنهم رسول الله زكريا

[410] سورة مريم : 22-28

والد يحيى عليه السلام، الذي كفل مريم عندما التحقت بخدمة المسجد. فلو كانت مريم أخت نبي الله هارون لأمّه لكان ذلك يعني أنّ عيسى عليه السلام بُعِث في زمن موسى عليه السلام.

كما أن النخل ليس من أشجار منطقة البحر الأبيض المتوسط[411] حيث يؤرخ لزراعة النخيل في السودان بحضارة المجموعة (أ) 3400-3100 ق.م.[412] وتقع في شمال البلاد في عبكا. وذلك يعني أنّ مكان مريم هو حيث تكثر أشجار النخيل، حيث الأرض المباركة التي فيها الجنات والعيون والزروع، وهي التي سكنها بنو إسرائيل الذين منّ الله عليهم وجعلهم أئمة في مملكة كوش وجعلهم الوارثين بعد دمار حُكم فرعون، وأصبحت موطناً لرسل الله وأنبيائه داود وسليمان وزكريا ويحيى وإلياس عليهم السلام. أما وجود النخيل في هذا الزمان في أماكن متعددة كغور الأردن وفلسطين فهو ليس قديماً إنّما هو نتيجة لاستجلابها من مناطقها الرئيسية التي كانت توجد فيها كالسودان والعراق والحجاز.

---

[411] Zaid and P. F. de Wet, 1994: Climatic Requirements of Date Palm; Date Production Support Programme; http://www.fao.org/docrep/006/y4360e/y4360e08.htm

[412] Eyre, C. J. 1994, The Water Regime for Orchards and Plantation in Pharaonic Egypt, Journal of Egyption Archeology, 80, pp. 57-80.

كانت مريم الصدِّيقة عليها السلام في إحدى جنّات هذه الأرض المباركة عند عين جارية وتحت إحدى شجرات النخيل حين جاءها المخاض بعيسى كلمة الله وروح منه بعيدة عن المساكن والبيوت. قال تعالى ﴿**فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا...**﴾[413]. والنخل عادة لا يُثمِر في الشتاء فولادة عيسى عليه السلام إنما كانت عند وقت نُضج الرُطب، فالإحتفال بمولد السيد المسيح عليه السلام في الشتاء لا يعتمد على مصدر، فأهل الكتاب لم يكونوا يعلمون عنه عليه السلام إلا بعد أن صدع بدعوته لهم، إذ لو كان لهم عِلم به قبل ذلك لبينوا عن مريم والمكان الذي ولدت فيه، وحال ولادتها، وما صار عند الولادة عن الذي تكلم في المهد عليه السلام. والله سبحانه ذكر في قوله ﴿**...وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا...**﴾ يدلّ على وقت نضوج الرُطب الذي لا يكون إلا عند فصل الربيع. وكذلك ولادة جميع الرسل لا تكون إلا في اعتدال ربيعي يتناسب مع ما يلائم الفطرة الإنسانية المعتدلة التي يكون عليها الرسل ورسالاتهم السماوية. وكذلك يفعلون في الاحتفال بمولد محمد صلى الله

---

[413] سورة مريم : 22-26

وبارك عليه وعلى والديه وآله فمرّة يحتفلون به في الشتاء ومرّة في الخريف ومرَّة في الصيف ومرَّة في الربيع ليجهل الناس في أي فصل من السنة كان مولده الشريف رغم أنهم يقولون إنّ مولده في الربيع!!. وكذلك الكتب السماوية فقد نزلت جميعها في شهر رمضان حيث لا يكون حرّ ولا برد يُصارِع الناس فيه للحفاظ على أنفسِهم، وحيث يتساوى الليل والنهار في جميع أقطار البسيطة. فلم تكن ولادة عيسى عليه السلام في فلسطين كما أشرت من قبل، وهي ليست الأرض المقدّسة ولا المباركة، إنّما الأرض التي مُنِحت لليهود بوعد بلفور لأسباب استعمارية لا علاقة لها بالدين، وعندما كان اليهود يبحثون عن وطن وافق المِلِك عبد العزيز آل سعود بأن يكون ذلك في فلسطين. فليس تمسّكهم بفلسطين نتيجة لتقديسهم لها، إنّما هو إيهام من السياسيين الصهاينة للعرب والمسلمين أنها هي الأرض المقدّسة التي كتبها الله لهم، ولذلك يبذلون كلّ ما يمكن من أجل البقاء فيها، وسمّوا "بيت المكداش" الذي هناك "بيت المقدِس"، وبدّلوا كلمة البيت وقالوا للبيت "المسجد" بدلاً من البيت، فصار "المسجد المقدّس". ثم يُقال له "القدس الشريف"، وهو إسم لا معنى له. ولكن بعد أن انطلى ذلك على الناس أصبح عندهم المسجد المقدّس الذي هو البيت المكداشي هو المسجد الأقصى. ثم يقال لبيت المكداش: "القدس الشريف". والأحبار اليهود الذين قال الله فيهم **﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ**

يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[414] يعلمون أنّ الدين لا وطن له إنما هو بلاغ للإنسانية لحُسن الخُلق وإحسان التعامل بلا عنف ولا إكراه. ولكن السياسيين لا يقبلون منهم ذلك ولا يسمحون لهم بقول الحقّ الذي يجدونه عندهم في التوراة. وكذلك السياسيين من "الذين آمنوا" من قوم محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله الذين لا يقبلون بأنّ الدين هو بلاغ للإنسانية بحُسن الخُلق وليس دولة ووطناً وأنّ وطنه قلوب المؤمنين.

هناك تعتيم مقصود على شخصية السيدة مريم عليها السلام وتاريخ ميلادها وسيرتها ومكان وفاتها عند أهل الكتاب، وعدم وضوح في نشأة عيسى عليه السلام وولادته. وقد يكون التدليس، وليّ عنق الحقيقة، وتزوير التاريخ، هو الهدف لإبعاد السودان عن الصورة الحقيقية لنهضة الإنسان وبداية انطلاق إشراقات الأنبياء والدين، وتحويلها إلى الأماكن التي يريد أهلها نسبة هذه النهضة إليها رغبة في الكسب الإقتصادي أو السياحي أو الجغرافي أو السياسي. أو قد يكون الغرض تعمية الناس عن الحقيقة المادية والمعنوية وحصرها في قلة من الناس ربما لأمور يخفونها. وقد يكون الغرض من اللادينيين لإبعاد الناس عن الأماكن التي بدأ فيها الدين لوجود الآثار التي تدعم ذلك. وقد وصل التكتُّم على تاريخ مريم عليها السلام إلى غياب تاريخ زكريا عليه

[414] سورة الأعراف : 159

السلام كذلك لأنّه كان يتعهدها في المحراب، ورأى ما عندها من الآيات كوجود الطعام مما رزقها الله. وكذلك عدم وضوح سيرة يحيى عليه السلام الذي كان إثر استجابة الله لدعاء زكريا عليه السلام في محراب مريم حين رأى فيه من عظيم الآيات، وهذا ما يوضح قبول الدعاء في الأماكن المباركة. قال تعالى ﴿**هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ...**﴾[415]. فهناك أماكن مباركة وأيام مباركة تُستحب فيها الأعمال، وهنالك أماكن وأيام وأوقات يُحذر فيها العمل. فالله سبحانه حينما أهلك عاداً أهلكها في أيام نحِسات قال تعالى ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ...**﴾[416]. وقد جهِل من يدّعي التوحيد ويقول إنّ الأيام كلها أيام الله ولا يفرّق بينها، فالله سبحانه خلق النحس والسعد.

ما يعرفه أهل الكتاب عن عيسى عليه السلام هو ما كان من حياته في وقت دعوته إلى الحبّ والتسامح التي رأوا فيها وجوب محاكمته لقوله -كما نسبوا إليه- إنه ابن الرب وإنه ملِك اليهود. أما قبل ذلك فهناك ما لا يُعرف عن نشأته وولادته عندهم. كذلك ما كان من أمر مريم عليها السلام قبل ولادة عيسى عليه السلام، وكذلك حالها بعد أن رفعه الله إليه، وليس ذلك رفعاً مكانياً تعالى الله عن المكان. فمريم عليها السلام لم تمت قبل رفع عيسى وبقيت بعده،

---

[415] سورة آل عمران : 38

[416] سورة فصلت : 16

فأين تاريخها وسيرتها من قبل ومن بعد وماذا جرى لها وأين مرقدها؟ إنّ تعمُّد عدم التعريف والتعتيم على ما كان من أمر مريم عليها السلام يدلّ على أنّه كان هناك ولا يزال عمل ممنهج لتغيير الحقيقة وتحريفها في الناحية الإيمانية، فيما يتعلق بالسيد المسيح عليه السلام وأمّه الصدّيقة التي طهّرها الله واصطفاها على نساء العالمين ونفخ فيها من روحه، وكذلك في الناحية الجغرافية وإبعادها عن الأماكن التي حدثت فيها، وتحديداً إبعاد إسم السودان عن تعريف الإنسانية بالحضارة والقِيم الرسالية التي جاء بها رسل الله عليهم السلام. وتركيز الأمر من الناحية الجغرافية على فلسطين، وإظهار أنها أرض الميعاد، وأنها هي التي كُتِبت لهم، كلّ ذلك أمر سياسي لا علاقة له بالدين، ولا بحقيقة نشوء المسيحية ولا اليهودية ولا الإسلام، بل هو تعتيم على الأمر ورفض للحق.

المسيح عليه السلام
(نشأته والحكم عليه)

ورد في سِفر أعمال الرسل إصحاح 8 الآية 27 أنّ وزير الكنداكة اعتنق المسيحية عام 37 ميلادية وذهب إلى فلسطين. وجليّ في هذه الرواية محاولة إبعاد المسيحية عن وطنها الحقيقي في بلاد النوبة وإقحام فلسطين في الأمر. فكيف يكون الوزير قد اعتنق المسيحية إن لم تكن في وطنه وما الذي يدعوه للذهاب إلى فلسطين إذا كان هو قد اعتنق المسيحية في بلاد النوبة والمسيح عليه السلام محكوم عليه بالقتل والصلب.

وما يؤكد أنّ المسيحية انتشرت في بلاد النوبة وأنّها انطلقت من هناك تلك اللوحة الأصلية الموجودة في المتحف القومي بالخرطوم حالياً، ونسخة منها في متحف وارسو في بولندا حيث تظهر فيها الكنداكة والمسيح والملائكة والحكماء الثلاثة. وقد وجِدت هذه اللوحة في كنيسة فرس في منطقة النوبة وأُنقِذت في حملة إنقاذ آثار النوبة. وإن كان تمّ رسم هذه اللوحة بعد قرون من ميلاد المسيح فهي تدلّ على تاريخ المسيحية المتواصل منذ ميلاده في بلاد النوبة.

ففي عهد ميلاد المسيح عليه السلام كانت مصر تحت الحُكم الروماني الممتد إلى أسوان مجاوراً حدود مملكة

مروي. وحاول الرومان الامتداد والدخول في بلاد النوبة وتصدت لهم الكنداكة (أماني ريناس) 40 ق م – 10 م وأرجعتهم إلى ما وراء أسوان، مما أجبر الرومان إلى عقد إتفاقية سلام بينهما ولكن بشروط الكنداكة، وفي هذا العهد ولد المسيح عليه السلام. من المحتمل أنّ المِلكة الموجودة في اللوحة المتأخرة لميلاد المسيح هي الكنداكة أماني ريناس. لهذا كانت طفولة السيّد المسيح في مملكة مروي.

وقد ورد في إنجيل متّى الإصحاح الثاني الآية 13 و 14 **"أنّ يوسف ومريم عليها السلام هربوا بعيسى عليه السلام إلى مصر بأمر من الإله هرباً من سطوة الحاكم الروماني"** وهذا النص يؤكد أنّ طفولة عيسى عليه السلام كانت في بلاد النوبة في مملكة مروي، وهو ما يؤيد صحّة اللوحة التي أشرنا إليها؛ فقد كانت مصر تحت حُكم الرومان من قبل الميلاد إلى 395 ميلادية. فهل هربت عائلة عيسى منهم وإليهم؟ إذاً فلا يؤخذ من هذا النص إلا أنّ ميلاد عيسى عليه السلام وطفولته لم تكن إلا في مملكة النوبة الممتدة من أسوان إلى الهضبة الإثيوبية. ولا معنى لإضافة الهروب في النص، لأنّ العداء لعيسى عليه السلام لم يكن إلا بعد أن اتهموه بأنّه ابن الرب ولم يكن ذلك في طفولته. وهناك نصّ **في إنجيل لوقا "يشير إلى أنه بعد ميلاد عيسى وانقضاء فترة الطُهر لمريم حسب تعاليم التوراة وهي فترة ستة أسابيع، قام يوسف ومريم بأخذ عيسى إلى أورشليم إلى**

المعبد (الهيكل)" وكذلك لا يؤخذ من هذا النص إلا أنّ عيسى أخذته مريم بعد الستة أسابيع إلى المعبد، والمعبد ليس في أورشليم كما بينا من قبل، فلا معنى لذِكر أورشليم إذ لا يُقصد منه إلا التحريف وطمس الحقيقة وتحوير الأمر وإلصاقه بفلسطين.

ولا توجد رواية عن السيد المسيح حول نشأته وحتى الصدع برسالته إلا ما كان في إنجيل لوقا الجزء الثاني (الإصحاح الثاني) الآيات من 41-52 وهو **(أنّ عيسى عليه السلام جاء مع أمه مريم ويوسف النجار إلى المعبد وافتقدوه عندما رجعوا لبيوتهم وكان عمره آنذاك اثنا عشر سنة فعادوا إلى المعبد بعد ثلاثة أيام فوجدوه جالساً مع العلماء يستمع إليهم ويسائلهم. وقد انبهر كلّ من كان يستمع إليه. وسألته أمه عليها السلام يا بُني لم فعلت بنا ذلك لقد أصابنا القلق في البحث عنك فأجابها "لم تبحثون عني ألا تدرون أني يجب أن أكون في بيت أبي" ولكنهم لم يفهموا ما قال لهم)**.

ولا يوجد غير هذا النص الذي في إنجيل لوقا فيما يتعلق بنشأة السيد المسيح عليه السلام وهي الفترة الغائبة التي يُفتقد فيها تدوين ما كان من حياته الكريمة. ومعلوم أنّ المعبد لم يكن في فلسطين كما أوضحنا من قبل، فالمعبد الذي كان فيه أولئك العلماء هو المسجد الأقصى وهو الذي بناه سليمان عليه السلام ولا علاقة له بفلسطين. فهذه

السنوات من حياة السيد المسيح كانت في بلاد النوبة. وأُهمِل تدوين ذلك حتى يتم التحوير وتحويل الأمر كأنّه حصل في فلسطين ويغيّر وجه التاريخ والأماكن المقدّسة.

يعزو بعض الناس نقص المعلومات عن بدء انتشار المسيحية في أرض النوبة لأسباب سياسية، وقد يكون أيضاً لأسباب أخرى كعدم إهتمام علماء الآثار اللادينيين ورغبتهم في طمس الآثار الدينية فكان ذلك سبباً لما جرى عمداً لتغييب المعلومات الأثرية. فقد كان سدّ أسوان من أسباب غياب المعلومات الأثرية وغمرِها بالمياه وبعد ذلك تمّ القيام بحملة إنقاذية للآثار بصورة خجولة قبل تعلية خزان أسوان الأولى عام 1912 ومن ثم صدر وعد بلفور عام 1917، ثم جاء طمس المعلومات الأثرية بقيام السد العالي لتختفي جل الآثار ويتم التعتيم على منشأ المسيحية الحقيقي، ويحول مسرح الأحداث إلى فلسطين ليقولوا إنّها الأرض المقدّسة التي كتبها الله لبني إسرائيل لأسباب استعمارية.

ونشير كذلك إلى ما نُشِر في دورية "اليوم السابع" التي تُعنى بالآثار بتاريخ 2017/4/24 بأنّ هناك معابد نوبية كاملة أُزيلت من مواقعها وأُهديت لدول غربية كهدايا لمشاركتها في حملة إنقاذ آثار النوبة!! ففي 28 إبريل 1967، تسلّم المتحف الأمريكي متروبوليتان للفنون "معبد دندور" الذي بُني في القرن الأول قبل الميلاد على الشاطئ الغربي جنوب أسوان. وخلف المعبد كان هناك هيكل

منحوت في الصخر يرجّح وجوده قبل تشييد المعبد ويُعتقد أنه يرجع للأسرة السادسة والعشرين، وعند انتشار المسيحية تحوّل الجزء الأوسط إلى كنيسة زالت آثارها إلا بعض النقوش القبطية. وكذلك معبد طافا (تافيس باليونانية) كان يقع بقرية "امبركاب النوبية"، بُني في العصر الروماني، ويوجد على جدرانه حفر للصليب، وقد تم إهداؤه إلى هولندا عام 1960. ثم معبد "الليسيه" وكان يقع في بلاد النوبة بقرية "ابريم" وشُيّد في عهد الملِك تحتمس الثالث وكان مخصصاً لعبادة الآلهة آمون وحورس وساتيس. وتمّ إهداؤه إلى إيطاليا عام 1966.

الحكم على المسيح:

إنّ العدو الأكبر والأوحد للدين هو السلطان والمُلك، ولم يعارض رسل الله إلا أصحاب السلطان قال تعالى **﴿...وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ...﴾** رغم أنّ الرسل ما كان منهم إلا البلاغ ولم يطلبوا سلطاناً. لقد صدر أمر من الوالي الروماني بتنفيذ الحُكم على عيسى عليه السلام بل وصلبِه أمام الخلق أجمعين بعد الحُكم عليه وفعلوا ذلك بمن شُبِّه لهم. لقد ورد في الأناجيل الأربعة أنّ اتهام السيد المسيح ومحاكمته تم بواسطة مجلس قضاة "سان هدرن" والذي يرأسه القديس الأعلى، حيث وجهت إلى المسيح عليه السلام تهمة الإدعاء الكاذب بأنه ملِك اليهود، وذلك حسب

فهمهم لدلالة مسمى يسوع والذي يعني أيضاً ابن الرب. كان ذلك يوم الخميس مساء ثم انعقدت المحكمة في صباح الجمعة ووجهت إليه التهمة رسمياً وتمّت إدانته في مجلس القضاء وقيد إلى الوالي الروماني بنطيوس بيلاطس، وطالبوه بإعدامه وصلبه لإدعائه بأنه ملِك اليهود وابن الرب، وأنه منعهم من دفع الضرائب إلى الإمبراطورية، وكان ذلك في تجمهر كبير قاده رئيس الكهنة اليهودي، ولم يجد الوالي بداً من مجاراة الرأي العام الهائج فأمر بتنفيذ حكم الإعدام. وفي رواية أنّه قال لهم لا أرى في هذا الشخص الصالح التهم التي ذكرتموها، ولكن هو لكم فافعلوا به ما تشاءون.

وقد انفرد إنجيل لوقا برواية تقول إنّ التهم الموجهة ضد يسوع التي رُفِعت للسلطات الرومانية تختلف تماماً عن تلك التي كانت أمام المحكمة الدينية. فقد وُجِه إليه الإتهام بأنه يثير غضب الجماهير ويمنعهم من دفع الجزية، ويدّعي بأنه ملِك، وذلك لإثارة السلطة السياسية الرومانية. وكذلك ورد في إنجيل لوقا أنّ الوالي الروماني بيلاطس لم يكن مقتنعاً بكلّ ما قدّمه اليهود ضدّ عيسى. ذكروا أنّ الوالي الروماني جاء إلى مكان الإحتفال عند اليهود بعيد الفِصح، وكان يجري في المسجد الأقصى الذي بناه سليمان عليه السلام، وهو مكان إنعقاد المحكمة الدينية اليهودية العليا (سان هدرن) فقدم له رجال الدين الحكم بالإعدام الذي

أصدروه مسبقاً على عيسى عليه السلام ليقوم بتنفيذه. فقام الوالي الروماني بيلاطس بإرسال عيسى عليه السلام إلى هيروتس لتنفيذ الحُكم فلم يفعل وردّه إلى الوالي بيلاطس في أسوان بعد أن ألبسه الخرقة الأرجوانية. وفي محاولة أخيرة لإطلاق سراحه قدم الوالي بيلاطس لليهود الخيار بين صلب باراباس المجرم مقابل إطلاق سراح يسوع لكن بلا فائدة، وطالبت الجماهير بإطلاق سراح باراباس المجرم وصلب المسيح. فأعطاهم بيلاطس ما طلبوه وسلمهم يسوع ليفعلوا به ما يريدون. هذا ما ورد في أخبارهم. ولكن الذي تمّ فيما نراه هو إطلاق سراح المسيح عليه السلام وصلب باراباس المجرم.

لقد كان الذي يُحكم عليه بالإعدام في تلك الفترة يلبسونه لباساً أرجوانياً يغطيه كاملاً وهو الذي يحدث حتى اليوم في المحكوم عليهم بالإعدام في بعض الدول. وقد يكون الذي جرى من الوالي هو تبديل يسوع بباراباس دون عِلم اليهود بذلك، وذلك بسبب رغبته في إطلاق سراح يسوع إضافة إلى إصرار زوجة الوالي على ذلك؛ وهو الأرجح عندي. لذلك أعطاهم باراباس في لباسه الأرجواني مغطى الرأس وتم صلبه باعتباره المسيح عليه السلام الذي قال الله فيه عن ذلك **﴿...وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـكِن شُبِّهَ لَهُمْ...﴾**[417]. وشكّ بعض الناس في الذي تمّ صلبه قال

[417] سورة النساء : 157

تعالى ﴿...وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ...﴾[418].

لا يوجد أيّ أثر لمريم الصدّيقة عليها السلام بعد انتقالها ولا مزار لها ولا مرقد يأوي جسدها، وإنّه لمن أكبر الكبائر ألا يكون هناك أثر لأمّ المسيح كلمة الله التي ألقاها إليها وروح منه. فكيف في ظلّ هذا الحُكم يمكن أن يكون موقف الناس تجاه دعوة من يرونه مصلوباً أمامهم؟ وهل يجرؤ أحد على التصريح بقبول ما يدعو إليه أو يُظهِر أنّه من أتباعه؟ وكيف بأسرته الكريمة، أين أمّه الصدّيقة وزوجته وأبناؤه؟ قد يبدو غريباً ذكري لزوجته وأبنائه ولكن هل يقدح ذلك في قدسيته؟ قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً...﴾[419] وما استثنى الله سبحانه من الرسل إلا يحيى عليه السلام حيث قال تعالى ﴿...وَسَيِّدًا وَحَصُورًا...﴾[420] إنّ من يقول في ذلك المغضوب عليه من الحاكم ومن قِبل رجال الدين أصحاب المعبد، ذلك الذي يرونه أمامهم مصلوباً، غير ما يريد صاحب السلطة ورجال الدين ، فمصيره المصير نفسه وسيغيَّب عن الوجود. فقد تم تغييب أمّه عليها السلام وأسرته، حتى لا يوجد عند

---

418 سورة النساء : 157-158

419 سورة الرعد : 38

420 سورة آل عمران : 39

الناس من يكون له ولاء أو تقديس لأحد غير الحاكم، كما فعلوا بعترة محمد صلى الله وبارك عليه وعلى ووالديه وآله. ويُكتب التاريخ ويتم تزوير الحقائق كما يريد الحاكم، لكن الحق لا ينطفئ نوره بسلطان بشري. وتسري دعوة الحق والبلاغ من روح الله عيسى عليه السلام الذي رفعه الله إليه ويدين بها الناس. يقول محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله **"أنا أولى الناس بعيسى"**[421].

تفادي أثر الحُكم:

وجد الرومان أنفسهم في مأزق فيما نسبه إليهم اليهود في قتل المسيح عليه السلام وذلك حينما بدا لهم كثرة أنصاره فرأوا في ذلك خطراً في المجتمع يجب أن يُزال. فبدأ اضطهاد الرومان للمسيحيين في القرن الأول الميلادي وما بعده، مما أدى إلى لجوء الرهبان المسيحيين من شمال مملكة النوبة إلى المناطق النائية وخاصة مناطق الواحة الداخلة والواحة الخارجة. ومن المحتمل أنّ البعض منهم نزح جنوباً إلى غرب النيل حتى مناطق دنقلا. ويدلّ على ذلك ما اكتشِف حديثاً في وادي القعب إلى الغرب من دنقلا من أماكن وآثار مسيحية، ومن ثم نزوحهم إلى الجنوب

421 البخاري

الغربي إلى منطقة عين فرح، وهذا ما يؤكده أركل[422] حيث وجد فخاراً رُسِم عليه سمكاً وصليباً وحماماً وهذا يؤكد تزامنه مع فترة الاضطهاد الروماني للدين المسيحي حيث استعمل فيه المسيحيون الرمزية لدينهم كالسمك والحمام لممارسة دينهم في سرّية.

بما أنّ دعوة المسيح عليه السلام جاءت لإنقاذ البشرية من الشرور والدعوة إلى التسامح فآمن بها الناس في مملكة النوبة وأصبح من العسير قمع هذه الدعوة، فقد أصبح هاجس السلطة الرومانية كيفية الخروج من خطورة هذه الدعوة التي اجتاحت السكان ودان بها الناس. وبما أنّ الإيمان بعيسى عليه السلام أصبح خطراً يهدد المُلك الروماني في إقليم النوبة كان لا بدّ من وجود مخرج من المأزق الذي أدخلهم فيه اليهود بنسبة إعدام عيسى عليه السلام إليهم.

يصعب على الملوك الاستمرار في قمع دعوة الحقّ، فيمكرون ويُظهِرون ما يدين به الناس، ويجيئ التبرير لشنيع فعلهم الذي ظنّوا فيه صلبهم لكلمة الله وروح منه، بأن يُظهِروا الإيمان بعيسى عليه السلام بأكثر مما يؤمن به الناس، ويؤلهونه حتى لا يسأل الناس عن أسرةٍ

[422] Arkell, A. J. (1959), Christian Church and Monastery at Ain Farah (Darfur), Smithsonian Libraries.

للإله، فلا يلتفت الناس إلى أمّه الصدّيقة عليها السلام، التي طهرها الله واصطفاها على نساء العالمين، ولا إلى أسرته من زوج وأبناء فليس ذلك من شأن الألوهية، ويكون ذلك باختلاق رؤية منامية ممن كان يُنكِّل بالمسيحيين، وتكون رؤيته هي تأليه المسيح عليه السلام وأنّ ما فعله الحاكم إنما كان تنفيذاً لأوامر صاحب الرسالة الإله، ليكون ذلك تحولاً سياسياً من الدولة إلى دعم المسيحية بدلاً من محاربتها، ليصبح رأس الدولة يدين بألوهية عيسى عليه السلام. ويجعلون شعار الصليب دلالة على أنّه كان شفاعة للمذنبين، حتى ينسى الناس تلك الجريمة ومن قام بها، وينشغلون بما يقال لهم في مبالغة التقديس بأنّ ذلك الذي حدث كان أمراً قام به المصلوب نفسه ليشفع للناس خطاياهم. ويكثر التبجيل والتقديس لعيسى عليه السلام من قِبل الدولة، وإظهار صاحب السلطة مبالغته في التقديس أمام أحباب المسيح ليكون عيسى عليه السلام بصورة الإله المصلوب من أجل الناس، فلا ينشغل الناس بغير هذا التقديس من رأس الدولة، بهذه الفرية السياسية ونظرية الإله الذي يقبل الصلب حتى يخلص الناس من خطاياهم، ويجعل الصليب رمزاً لدين الدولة، وهو أمر لم يأت به أو يأمر به المسيح عليه السلام. وهكذا تُنسى الجريمة ومن قام بارتكابها، بل ويجعلون من قام بتنفيذ حُكم الإعدام قدّيساً لإظهاره التقديس المبالغ فيه، وقد نصبوا له تمثالاً في المعبد. ويصبح الذين ارتكبوا

الجريمة هم الرسل نيابة عن الإله الذي صلبوه ويحرّفون الإنجيل بما يناسب دعواهم ويستر جريمتهم، وتُنسى مريم الصدِّيقة عليها السلام والأسرة الكريمة التي لاقت من بعدها عترة محمد صلى الله وبارك عليه وعلى والديه وآله من التقتيل والمحاربة من أصحاب السلطة حتى لا يلتف الناس حولها. وبما أنّ عيسى عليه السلام أصبح يُنظَر له كإله فيجب أن لا يكون له أبناء وبنظرية الإله المصلوب لا يسأل أحد عن أبناء الإله وأمه فإنّ ذلك فيه خطر على الدولة.

مسرح الأحداث

من الأدلة على أنّ مسرح أحداث الأنبياء من موسى إلى عيسى عليهم السلام أجمعين هو السودان تأثير الثقافة في كوش على بني إسرائيل آنذاك. ومن أبرز سماتها رمزية الأسد الدينية والملوكية المرتبطة بالإله آمون رع في الجبل المبارك "جبل البركل" الذي كان يتمّ فيه تتويج الملوك ليكتسبوا منه الهيبة والسلطة والقوة. ومن أشهر آثار هذه الرمزية أبو الهول في مصر ومعبد الأسد (اباداماك) في السودان. ونجد أنّ نبي الله يعقوب عليه السلام الذي استوطن في أرض السكّوت في النوبة العليا لقّب إبنه يهوذا بالأسد (سفر التكوين 49:9) ليكون حامي حمى بني إسرائيل ورمز الإرث الديني والملكي الساري فيهم. وقد تجسّد في أحفاد يهوذا فكان منهم نبي الله داود وإبنه سليمان الذي أحيا هذه الرمزية لا سيما أنّ زوجته بلقيس كانت سليلة الفراعنة الكوشيين. وإلى داود عليه السلام تُنسب السيدة مريم أم المسيح عليهما السلام. وقد استمرت رمزية الأسد في مملكة سبأ بعد بلقيس وإبنها منلك إلى أن دمرها سيل العرِم وتحولت عاصمتها إلى مروي. وبعد تدمير الرومان للمسجد الأقصى الذي بناه سليمان عليه السلام في سنة 70 م هاجر بنو إسرائيل ومن بقي من أحفاد منلك إلى الحبشة وأسّسوا

مملكة أكسوم في عام 100 م التي احتفظ ملوكها برمزية أسد يهوذا حتى الإمبراطور هيلا سلاسي الذي بموته في عام 1975 انتهى الإرث الملكي لسيدنا سليمان عليه السلام.

ومن سمات الثقافة الكوشية التي تأثر بها بنو إسرائيل الختان. والإشارة إلى قِدمه ذلك النحت الموجود في هرم سقارة بمصر الذي بناه ايمحوتب الذي تتلمذ على نبيّ الله إدريس عليه السلام مما يدلّ على أنّ الختان إرث ديني. ثم أحيا إبراهيم عليه السلام الذي عاش في أرض كوش هذه السنّة الدينية التي توارثها أبناؤه إسماعيل واسحق ويعقوب فصارت سنّة متبعة عند المسلمين من بني إسرائيل وبني إسماعيل. وهذا يدل على أنّ نبي الله إبراهيم عاش عُمراً مديداً من زمن النمرود إلى زمن يعقوب والد حفيده يوسف عليه السلام **﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إَلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾**[423].

لقد بينا أنّ مُلك سليمان عليه السلام قام على ما ورثه عن أبيه في مُلك دولة النوبة وليس فلسطين، وأنّ زوجته بلقيس من سلالة فراعنة النوبة. وحينما اتضح موت سليمان عليه السلام بعد أن أكلت دابة الأرض منسأته ظلت مملكة سبأ تحت حُكم بلقيس وعقبها إبنها منلك الذي قام بأخذ

[423] سورة البقرة : 132

التابوت خِلسة من أبيه سليمان. وكانت كلّ تلك الأحداث في أرض السودان.

قال رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله **"لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدِس سأل الله ثلاثاً حكماً يصادق حِكمة وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. فقال النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أما اثنتان فقد أعطيهما وأرجو أن يكون قد أُعطي الثالثة"** [424].

واضح من الحديث أنّ المقصود هو المسجد الأقصى بدلالة قوله **"...وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه..."** وبيت المقدس كما ذكرنا هو بيت المكداش وأُطلِق عليه تحريفاً بيت المقدس وليس هو المسجد الأقصى فيكون الأصل في الحديث **"لما فرغ سليمان بن داود من بناء المسجد الأقصى..."** يؤيد ذلك بقية الحديث **"وألا يأتي هذا المسجد..."** ولم يقل بيت والفرق واضح بين بيت ومسجد. والمسجد الأقصى هو الذي تقع حوله الأرض المباركة التي أخرج الله منها فرعون وآله وأورثها بني إسرائيل، وهي حول حوض النيل وأصبحت هذه الأرض تحت حُكم أنبياء بني إسرائيل داود ثم إبنه سليمان

---

424 ابن ماجة

الذي قام ببناء المسجد الأقصى في هذه المنطقة وهو القِبلة الأولى، وفيها كان مركز تجمع رجال الدين اليهودي. وأطلق اليهود على المسجد الأقصى اسم الهيكل ولا يوجد من مسميات المباني ما يُعرف بالهيكل لأنّ الهيكل بناء غير مكتمل فهو إسم يشير إلى المسجد بعد تدميره ليظل قصداً لهم لإعادته.

نخلص بذلك إلى أنّ سلطة اليهود الدينية كانت في شمال أرض السودان التي كانت تمتد إلى أسوان. ولقد ذكرنا أنّ المسجد الأقصى هو الذي بارك الله ما حوله وذكرنا أنّ الأرض المباركة هي التي أورثها الله أنبياءه داود وسليمان عليهما السلام فهنالك يكون المسجد الأقصى كما جاء في الحديث.. وكانت محكمة اليهود الكبرى تنعقد في المسجد الأقصى الذي أُطلِق عليه خطأ أو تزويراً أو تحريفاً أو قصداً بيت المكداش لتوجيه مسرح الأحداث إلى فلسطين التي سكنها يهود أوروبا وغيرهم لأسباب استعمارية بوعد بلفور، وأوضحنا أنّ المسجد الأقصى الحقيقي يقع في حوض النيل جنوب أسوان. فهناك يكون محل الإسراء والقِبلة الأولى. فإنّ القِبلة التي كان عليها نبيّ الله موسى وأخوه هارون ثابتة بنص القرآن وهي أُولى القِبلتين. قال تعالى **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[425]. وهذه

[425] سورة يونس : 87

البيوت هي التي بنى بدلاً عنها سليمان المسجد الأقصى ليكون هو القبلة.

وما يُشير إلى الآثار والإرث الثقافي الذي يدل على وجود بني إسرائيل في شمال السودان ما ورد في دورية "اليوم السابع" بتاريخ 2016/3/25 أنّ هناك (برديات آرامية أُكتشِفت بأسوان تشير إلى وجود معبد شمال الفنتين كان مخصصاً لعبادة يهوه وهو إسم الإله عند اليهود. وأكد علماء الآثار المصريين أنه معبد "أوزير نسمتي" الذي وجدت على أحدى الكتل الحجرية لمدخله رسمين لنجمة داود يعودا إلى عصر الأسرة 25 حيث كان بالجزيرة جالية يهودية). ويؤيد ذلك ما ورد في أصل وتاريخ اليهود الفلاشا في دورية "البحوث الاجتماعية لليهود في أمريكا" أنّ أسلافهم عاشوا في بلاد النوبة: "كان لليهود مستوطنة في جنوب مصر موجودة في الفنتين ما بين 650-402 ق م وغادروها أو طُرِدوا منها لوقوفهم مع الفرس، واتجهوا جنوباً إلى النوبة العليا في شمال السودان. وبعد تراجع سيطرة الفرس على أطراف النيل هاجر بعضهم إلى الهضبة الإثيوبية. ثم ازدادت أعدادهم بهجرات اليهود إلى الحبشة بعد تدمير المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام فيما يُعرف في التاريخ بتدمير الهيكل الثاني عام 70 م. وهذا يُثبِت وجود المسجد الأقصى الذي بناه النبي سليمان عليه السلام بشمال السودان لأنّ الدافع لهجرة اليهود من شمال السودان

إلى الحبشة كان تدمير الهيكل الثاني بواسطة الرومان في القرن الأول الميلادي.

وقد ذُكِر أنّ رجال الدين اليهودي قدّموا يسوع للوالي الروماني لتنفيذ حُكم الإعدام، ولا يعني ذلك أنّه تم في فلسطين. فقد كان الحكم الروماني الذي يمتد من الأسكندرية إلى أسوان وشمال السودان يسيطر على هذه المنطقة ما بين 31 قبل الميلاد إلى 395 ميلادية فالوالي الروماني الذي قُدِّم إليه يسوع لمحاكمته كان في أسوان وليس في فلسطين.

المحتويات

مفتتح	4
مقدمة	7
بنو إسرائيل - الذين هادوا – اليهود	20
التفريق والتفضيل	23
فرعون موسى المسرِف في الطغيان	32
هل مات فرعون غرقاً؟	38
السُكر العرفاني	51
إشراك هارون في الرسالة	55
حقيقة رسالة موسى	61
قارون المفتون بماله	72
خروج بني إسرائيل	76
أين يقع المسجد الأقصى؟	92
الجنّة في الأرض	102

صامويل: "نبيّ من بعد موسى"	118
الملك طالوت	126
داود عليه السلام	131
سليمان عليه السلام	144
الملكة بلقيس	157
إلياس عليه السلام	168
اليسع عليه السلام	170
ذو الكفل عليه السلام	171
يونس عليه السلام	172
أيوب عليه السلام	174
مريم الصدّيقة	176
المسيح عليه السلام	183
الحكم على المسيح	187
تفادي أثر الحُكم	191
مسرح الأحداث	195

www.Abugroon.com